

ديــوان الثقــافتين العربيــة و الأرمنيــة

عدد رقم ٨٨ | السنة الثانية عشر | أبريل ٢٠٢٢



أريك

نشرة غير دورية تصدرها
جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة

رئيس التحرير:
علي ثابت صبري
سكرتير التحرير:
عطا أحمد درغام

العنوان: ٢٦ ش مراد بك - صلاح الدين
مصر الجديدة - القاهرة
تليفون: ٢٦٩٠٩٥٢٦(٠٢)
رابط مجلة أريك الإلكتروني:
https://me-qr.com/l/ArekArabic

Scan Me

رقم الإيداع: ١٨٣٧٤ / ٢٠١٠

المحتويات

الموضــوع | الصفحة

السادة القراء الراغبون فى الحصول على هذا الإصدار مجاناً ، الرجاء موافاتنا بالبيانات الآتية :

الاســــم: ....
المهـــنــة: ....
العـــنوان: ....
البريد الإلكتروني: ....
التليـــفــون: ....

الإبادة الأرمنية ١٠٧ عام
عندما تكون الإنسانية بلاضمير

بقلم : على ثابت

تحل علينا ذكرى إبادة الشعب الأرمنى فى ٢٤ أبريل من كل عام ولكن دون جدوي ، حيث اعترفت دول كثيرة بأن ما حدث للأرمن على يد الأتراك العثمانيين هو جريمة ضد الإنسانية مكتملة الأركان ، وعززت هذه الصورة الدموية باعترافات الدول الكبرى آنذاك (بريطانيا – فرنسا – ألمانيا – الولايات المتحدة – روسيا) ، والتى كانت شريكة أساسية أو شريكة بالصمت أو المشاهدة أو التجاهل أو الإنكار ، لتحقيق مصالح جيوسياسية على حساب هذه القضية الإنسانية .

ورغم هذه الاعترافات المتوالية إلا أن الجاني الرئيسي (النظام التركى) مازال مُنكرًا لهذه الجريمة الكبرى ، ولم تتخذ ضده أية إجراءات حقيقية نظير ذلك ، بل يتجاهل كل ذلك ويمضى نحو إجراء إبادة أرمنية فى إقليم ناجورنو كاراباخ ، وكذلك هناك انتهاكات تركية فى العراق و سوريا على حساب شعوب المنطقة .

إلا أن مصير هذه القضية التاريخية مرتبطٌ دائمًا بمجريات الأحداث على الصعيد الدولى ، لذا ، فإن الذكرى السابعة بعد المائة للإبادة الأرمنية ، تأثرت بشدة بالحرب الروسية على أوكرانيا ، وما أحدثته من خلل كبير فى النظام العالمي ، أو بالأحرى أثرت على معظم اقتصاديات دول العالم ، إيذانًا بميلاد نظام عالمي جديد ليس فيه الولايات المتحدة الأمريكية القائد الأوحد للنظام العالمي ، بل سيكون هناك دور كبير لقوى الشرق بقيادة روسيا سياسيًا والصين اقتصاديًا ، وبدت ملامح نظام عالمي يرتكز على ثنائية القطب من جديد .

وإذا كان الشعب الأرمنى الحفيد هو الخاسر الوحيد من تلك التناقضات ، نظرًا لتراجع القضايا الإنسانية التاريخية، عندما يكون الصراع مصلحيًا ، فإن النظام التركى



رئيس الولايات المتحدة الأمريكية جون بايدن

والذى طالما طالبته الكثير من الدول الاعتراف بخطيئته وتحمل نتائجها والتصالح مع تاريخه ، هو الرابح الأكبر ، لأن فى ظل هذه المجريات لن يهتم أحدٌ بقضية إبادة الأرمن ، وإن كانت التصريحات عكس ذلك ، فنجد تصريح الرئيس الأمريكى جون بايدن "نجدد تعهدنا بالبقاء متيقظين ضد التأثير المدمر للكراهية بجميع أشكالها.. نجدد التزامنا بالتحدث علانية ووقف الفظائع التي تترك ندوبًا دائمة في العالم". ورغم أن هذا التصريح قد أغضب الدوائر التركية ، حيث أصدرت وزارة الخارجية بيانًا جاء فيه: "إننا نرفض ونُدين بأشد العبارات بيان رئيس الولايات المتحدة بشأن أحداث عام ١٩١٥ الذي صدر بضغط من دوائر الأرمن الراديكاليين والجماعات المناهضة لتركيا". إلا أن هذا التصريح الأمريكى والرد عليه من قبل الجانب التركى ما هو إلا مناورة سياسية ، أرادت بها إدارة بايدن لفت نظر تركيا بأن هناك ملفات يمكن الضغط على تركيا بها حال التعاون مع النظام الروسي ، فى ظل هذه التوترات الدولية التى تقودها روسيا .

وعلى هذا الأساس ، فإن النظام الدولى لن تُعيد أية حقوق للشعب الأرمنى ، وخصوصًا أنه الشاهد الذى رأى واشترك وخطط وتجاهل إلى أن راح ما يقرب من المليون ونصف المليون أرمنى ، أضف أيضاً إلى أنه نفس النظام الذى أنشأ تركيا الحديثة على أراضي أرمنية وعربية وكردية ، لتكون دولة حاجزة بين الشرق الغرب ، ومعبرًا للغرب نحو الشرق ، لذا ، فالنظام التركى يعي ذلك جيدًا ويتصرف ويتحرك بناءًا على ذلك .

وهل هذا معناه أن ينتابنا اليأس كلا ، فإننا مستمرون فى المطالبة باعتراف الجاني وعودة الحق للمجنى عليه ، فإن الإنسانية وإن مرضت فإنها لن تموت ، وفى السياق ذاته جاء بيان الرئاسة الأرمنية حيث أصدر فخامة رئيس جمهورية أرمينية ڤاهاكن خاتشاتوريان بيانًا بمناسبة الذكرى الـ ١٠٧ للإبادة الجماعية الأرمنية جاء فيه:

"اليوم يُحيي الشعب الأرمني وأصدقاؤه وكلهم تقدميون إنسانيون ذكرى ضحايا الإبادة الجماعية الأرمنية. مستفيدين من اضطرابات الحرب العالمية الأولى وتواطؤ القوى العظمى خطط قادة تركيا الشباب للإمبراطورية العثمانية ونفذوا أعنف المذابح وإبادة السكان الأرمن في أوائل القرن العشرين. وقد وقع أكثر من مليون ونصف المليون أرمني ضحية لهذه المأساة وأُجبر مئات الآلاف من الأرمن على مغادرة وطنهم ونُفوا وحُرموا من وطنهم وممتلكاتهم وسلكوا طريق الهجرة. بعد الموت وفقدان الأقارب وجد مواطنونا المنتشرون في جميع أنحاء العالم ملاذهم الجديد على الشواطئ الأجنبية وفي مختلف البلدان المضيفة وأظهروا إرادة غير قابلة للكسر في العيش والخلق ، أنشأوا العائلات وبنوا المدارس والكنائس والمجتمعات القائمة والنقابات الوطنية والمنظمات المتنوعة. أثرى أرمن الشتات اللوحة الاجتماعية والتجارية والثقافية للبلدان التي عاشوا فيها وأظهروا المواهب الأرمنية والقدرات الاستثنائية وجلبوا المجد والشرف لشعبنا. اليوم اعترفت العشرات من الدول والمنظمات الدولية الرسمية بالإبادة الجماعية الأرمنية وأدانتها. نحن مقتنعون بأنه لو كان الناس قد أدانوا الإبادة الجماعية الأرمنية في الوقت المناسب، لكانت قد حالت دون وقوع المزيد من



رئيس جمهورية أرمينيا - فاهاكن خاتشوريان

الإبادة الجماعية ولهذا السبب تكافح جمهورية أرمينية باستمرار على الساحة الدولية لإدانة جريمة الإبادة الجماعية ومنعها. من خلال جهود أرمينية أصبح التاسع من ديسمبر هو اليوم الدولي لإحياء ذكرى وكرامة ضحايا جريمة الإبادة الجماعية ومنع هذه الجريمة. تعتبر الذاكرة التاريخية والتعليم المستمر ونشر المعلومات الدقيقة حول ما حدث مهمة لمنع تكرار الإبادة الجماعية.

نحن نُدرك أن أفضل طريقة لإحياء ذكرى أبناء وطننا الشهداء هي إقامة أرمينيا الديمقراطية القوية وضمان رفاهية شعبنا وتأمين حدود بلدنا وتعزيز مكانة أرمينيا الدولية" يريفان ٢٤ أبريل ٢٠٢٢ .

وعلى نحو ما تم سرده نجد أن مسئولية تركيا عن ارتكاب جريمة الإبادة ضد الشعب الأرمنى عبر مراحل منظمة وممنهجة ، لا تُعفى القوى الكبرى آنذاك وحاليًا من مسئولية الشراكة فى تلك الجريمة النكراء ، حيث ضحى الكبار بالأرمن وتركوهم فريسة لوحش كان على حافة الهاوية ، من أجل تحقيق مصالحهم الإمبريالية على حساب الشعوب الأصلية فى هذه المناطق ، ولا ننسى أن التاريخ القديم يرصد حضارات أقامتها شعوب المنطقة ، وكأن صراع الحضارات ارتكز على محو حضارات كاملة بشعوبها وثقافتها وهويتها ، إلا أن تلك الشعوب ومنها الشعب الأرمنى تشبث بتاريخه وثقافته وأرضه وهويته ، لذا ، فإن كانت القوى الكبرى هى من تمثل الإنسانية ، فهذا نموذج للإنسانية عندما تكون بلا ضمير . إلا أن الإنسانية التى تمثلها الشعوب هى الإنسانية الحية التى لن تكف إلا أن يعترف الجاني بجريمته ، وهى من تُعيد للإنسانية قيمتها ودورها . وسنظل نتذكر ونطالب بالاعتراف وعودة الحقوق للشعب الأرمنى وكل شعوب المنطقة التى هضمتها وذوَّبتها الإمبريالية .



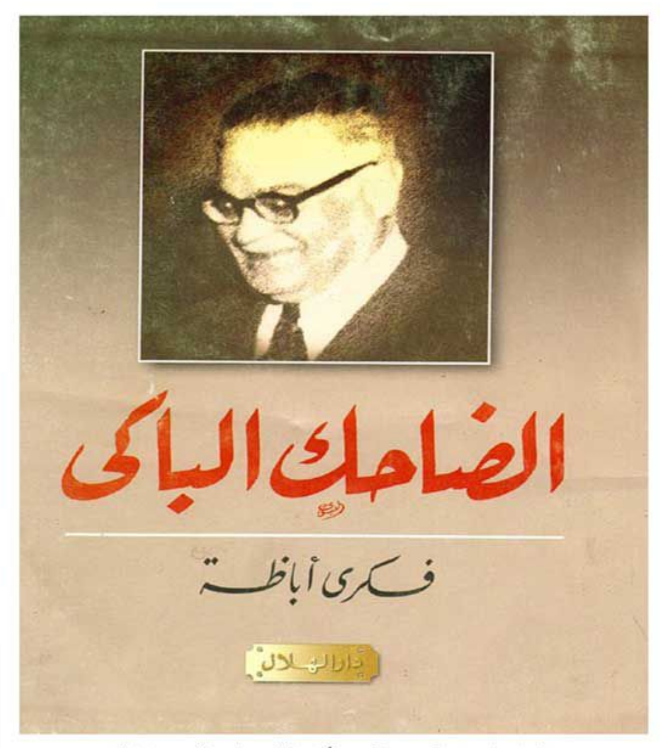
ليست ذكرى بل جرح فى القلوب غائر

بقلم: جاكلين جرجس

و نحن نُحيى الذكرى السابعة بعد المائة للإبادة الجماعية للأرمن، تلك الإبادة التى يرفض أن يتجاهلها أو ينساها أى إنسان يعرف معنى الإنسانية، له عقل و قلب نابض. فتلك المشاهد البشعة و الصور الدامية دامغة فى العقل و القلب.

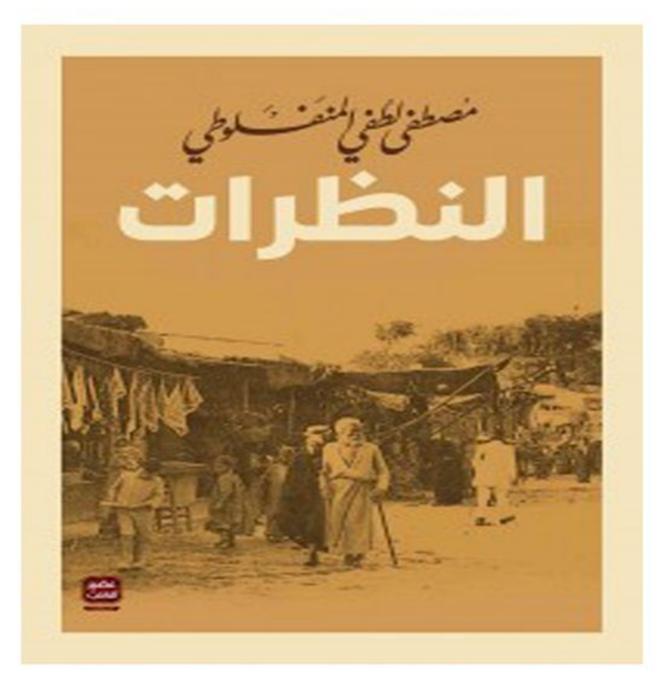
فجراح القلوب لا تندمل ،مهما مرت السنوات و مضى بنا قطار العمر ،سنظل نتوارثها إلى المنتهى سنحكى القصة فى كل ذكرى ؛ فتلك الصدمات التي لم تحل و خلفتها عملية الإبادة ظلت مؤثرة بشكل سلبى على جيل بعد جيل خاصة بين الأطفال و الشباب، فقد حُفرت فى ذاكرتهم و كان لها أكبر تأثير على حياتهم و مستقبلهم ، خاصة و أن تمرير الروايات والقصص يشكل تصورات الحاضر عن الماضي.

فالروايات هي التي تشّكل أفكار الأجيال التالية عن الأشخاص الذين وقعوا ضحية للإبادة الجماعية أو نفذوا تلك الإبادة، بينما يعالج شباب الأجيال التالية القصص التي يسمعونها، يكوّنون تصورهم الخاص عنها ويبدءوون في التعرف على جزء محدد من القصة. ومع تناقل القصص، يبدأ الأطفال أيضًا في استيعاب ما مر به آباؤهم وأجدادهم، ويستخدمون قص الروايات لتفسير الأسباب التي تجعل آباءهم يتحدثون عن الأمر بطريقة ما أو لا يتحدثون عنه بكل تفاصيله



الضاحك الباكي - فكرى أباظة - طبعة دار الهلال

لذلك نجد أن للآثار النفسية للإبادة الجماعية صلة قوية بالشباب، فالشبان الذين يعانون من صدمة بالغة في سن مبكرة غالبًا ما يكونون غير قادرين على استيعاب الحدث الذي حصل استيعابًا كاملًا. ومع انتقال أطفال هذا الجيل من الطفولة إلى سن البلوغ، فإنهم يميزون الحدث ويدركون الآثار النفسية المترتبة على الإبادة الجماعية،ومن المعتاد أن يعاني هؤلاء الناجون الشباب أعراض اضطراب ما بعد الصدمة ، فضلاً عن الاضطرابات النفسية الأخرى



،مما يؤكد على أن ألم الروح باقٍ إلى الأبد كما قالت والدة "بياتريس يعقوبيان" التى لاقت كل العذاب و الألم و الحسرة على يد الأتراك ،و هو أيضًا ما أثبتته شهادات الشهود العيان فى تلك المجزرة الجماعية .

أغلب الظن أن "بياتريس" لم تخنها ذاكراتها أو تنسى القصة المأساوية التى مرت بها، لكنها كانت تسترجعها بين الحين و الآخر ،و تتذكرها كلما مر طيف والدتها بخيالها، فتبدأ فى سرد تفاصيلها و تعيش أوجاعها كأنها حدثت بالأمس .

تتذكر قول والدتها قبل مماتها ،وهى تلعن الأتراك بعد كل صلاة ،و تقول:" إنه بعد وفاتها سيستمر رفاتها يلعنهم إلى أن يعاقبهم الله".

كانت أمها من مواليد (أضنة) سنة ١٩١٨، أدركت جيدًا عمق و معنى ألم الروح .. ففي عام ١٨٩٧ كانوا قد قتلوا زوجها الأول تحت وابل من الضرب أمام عينيها، و في عام ١٩٠٨ رموا بزوجها الثاني في النار حياً ، فأحرقوه أمامها.

أما في عام ١٩١٥ ،فقد هجم أربعة جنود أتراك عليها، و بعد أن اغتصبوها سحبوا من بين ذراعيها أختي التي في الرابعة عشرة من عمرها و خطفوها .

لم تجد أمي ما يغطي جسدها العاري ،فاختفت وراء شجيرة،فرآها رجل و إمرأة مسنان، فاقتربا منها و غطياها بمعطفيهما و أخذاها إلى منزلهما دون أن يتفوها بكلمة واحدة،أعدا لها الحمام والطعام. و بعد أن أوصلاها إلى بيتها قال الرجل: "عاقبهم الله، نحن أيضاً لدينا زوجات و بنات. أنا أخجل أن أقول إني تركيّ" ؛إلا أن هذه المعاملة الإنسانية لم تخفف من كراهية أمي للأتراك.

فبعد أن بحثت عن ابنتها سنوات كثيرة، دون جدوى و خلال تهجير عام ١٩٢١، توسلت جاثية عند قدمي أبي في الميناء، ليدعها عسى أن تجد ابنتها، ولكن كان الجنود الأتراك قد جروها ورموا بها في القارب. كانت أمي على الطريق من (مرسين) إلى ميناء (صورا- صيدا) في لبنان تنادي، و عيناها إلى الخلف :" آه، يا روحي، أصبحت فريسة للذئاب، كيف سأجدك بعد الآن؟".بعد الحرب العالمية الثانية، حين تزوجت وأحسست بشعور الأمومة والحب تجاه الأولاد، ذهبت مرات كثيرة إلى (أضنة)، فتجولت في كل "كيليكيا" عساي أن أجد أختي، فأكفكف دموع أمي. لكني لم أجدها، لم أجدها، و هكذا أنهت "بياتريس يعقوبيان" معاناة والدتها على يد الأتراك و الدموع تجرى من مقلتيها أنهارًا .

أما "أروسياك مارسوبيان" إحدى الناجيات، التى ولدت فى "أضنة" ، ١٨٩٢تسترجع المشاهد القاسية التى عاشتها و لم تفارق ذاكرتها و بدأت فى تدوينها بمذكراتها قبيل وفاتها فكتبت تقول " لن أغفر لتركى طوال حياتى، ولو قيل لى إن شرط الدخول إلى الجنة هو الغفران للتركى لفضلت جهنم"، دونت قصتها ويداها ترتجفان "

كنا أخوين وثلاث أخوات، خلال مذابح القسطنطينية خرج والدى وشقيقى ذو الـ١٦ عامًا إلى الشارع ولم يعودا.وبعد البحث عنهم طوال شهر كامل، وجدهما أحد الأشخاص مذبوحين و قميصيهما ملطخين بالدماء ، وبعدها بأيام دخل الجنود الأتراك بحجة التفتيش ،وبدأ إطلاق النار بقيت مختبئة إلى أن ابتعد الجنود، أما أختى التى كانت فى الثامنة عشرة، فأطلقوا النار على بطنها، رأيتها تهوى على الأرض دون حراك، والدماء تسيل من بطنها بين الجثث الملقاة على الأرض، ظللت أبكى وأصرخ من شدة خوفى و رعبى بقيت وحيدة مختبئة فى إحدى الزوايا ،ثم ركضت بعدها نحو أختى، لكنها كانت لفظت أنفاسها الأخيرة ؛ هرولت كالمجنونة أبحث عن أمى حيث أخذها الجنود بعيدا عن عينى.

كانوا يجرونها جرًا ،سحلوها فى الأرض سحلًا ، أخيرًا تنفست عندما لمحت أمى من بعيد جريت عليها ،لكن فجأة وجدتها والدم يسيل من رأسها،وعندما اقتربت منها قالت لى : "اذهبى.. اذهبى من هنا " ،و فهمت أنها كانت تتظاهر بالموت خوفًا من الضربة الثانية القاتلة من الجنود " ، و فى تلك الأثناء كان هناك اشخاص ينهبون الجثث أحدهم وجد أمى وهى مجروحة ونقلها للمستشفى، لكنى لم أتمكن من لقائها.

ومع اشتداد الحرب، نقلتنا سفينتنا إلى مصر ومنها إلى بيروت، وهناك أقمت فى مخيم للاجئين، وكنت كلما أسمع أن سفينة ما ترسو فى الميناء أذهب إلى الشاطئ لأبحث عن أقاربنا، لكن دون جدوى، وبعد أن بحثت عن والدتى وأخى لسنوات طويلة، علمت أن سفينتهما نقلتهما لليونان لكن لم يشأ القدر أن ألتقى بهم».. توفيت "أروسياك" فى ١٩٩٦ ولم تتحقق أمنيتها برؤية والدتها وأخيها ، ولا تعلم إن كانوا سبقوها إلى الوفاة أم لا. ليست تلك هى القصص الوحيدة من الشهود على هذه المذابح، ، فقد وثقت شهادات المؤرخين



ولي الدين يكن

و الكتّاب فظاعة و بشاعة المجازر ،حيث شهد عدد من الصحفيين والدبلوماسيين والجنود والأطباء والكتاب والمبشرين الإبادة الجماعية للأرمن ، بالإضافة إلى مئات الشهود من دول أوروبية مختلفة مثل : (ألمانيا والنمسا وإيطاليا) ،والولايات المتحدة الذين شهدوا الأحداث بشكل مباشر. ، وبحسب "تانر أكچام" المؤرخ التركي الألماني، وهو أول عالم تركي يعترف بالإبادة الجماعية للأرمن أكد أن ما لاقته المرأة الأرمنية من إهانة و تعذيب على يد الأتراك فى تلك المذابح جرائم و أهوال لا تغتفر ،حيث كانت الدعارة القسرية والاغتصاب والاعتداء الجنسي منتشر على نطاق واسع ، وقال القادة العسكريون لرجالهم "افعلوا بهم ما يحلو لكم"، مما ساعد أفراد من القوات المسلحة الألمانية في دير الزور على فتح بيت دعارة ،طوال فترة الإبادة الجماعية ، و تم منح الرجال ترخيصًا مجانيًا للقيام بما يحلو لهم مع النساء الأرمن ، كما تم عرض النساء والأطفال الأرمن عراة في مزادات بدمشق ، حيث يتم بيعهم كعبيد جنس، كان الإتجار بالنساء الأرمن كرقيق جنس مصدر دخل مهم للجنود المرافقين في المناطق العربية ، وكان يتم بيع النساء الأرمن المستعبدات بأسعار منخفضة ،و هوما أكده القنصل الألماني في الموصل أن السعر الأقصى للمرأة الأرمينية هو "٥ قروش" .... خلال هذا التطهير العرقي

أصبح الاغتصاب والاختطاف والعبودية الجنسية وإعادة الزواج القسري أدوات فعلية للإبادة الجماعية.

أما أن تحلم بأن تجد الإنسانية و الرحمة فى قلوب بعض الأتراك ،فبالتأكيد أنت واهم كبير حتى تُخيل لك أن "هاليد إيديب" أن تتسم بالأمومة، لكن هيهات فهى التى كانت مسؤولة على رأس ملجأ للأيتام يضم ١٠٠٠ طفل في الجبال معظمهم من الأطفال الأرمن ؛ قد تم تغيير أسمائهم (لأسماء إسلامية) ؛لأنهم أطفال إنهم لا يعرفون معنى الدين؛ كانت تقول ": الآن ، يجب إطعامهم وكسوتهم والحفاظ على سلامتهم، لم تقل ماذا سيكون بعد ذلك..... !"، و فى زاوية أخرى كانت تؤكد "هاليد إيديب" فى روايتها عن أعمال التفتيش على جهودها الإنسانية وكفاحها كان للتصالح مع عنف الوضع القائم ، و على ما يبدو أن أحد معارفها أدرك حقيقة أمرها و أتهمتها بـ "التخطيط بهدوء مع جمال باشا لأشكال تعذيب بشري للأمهات والشابات الأرمن" مما جعل المفوض السامي الأمريكي يشير عليها على أنها "شوفينية" وشخص "يحاول إعادة تأهيل تركية " ....، و هو ما صرحت به وقتها معلمة عملت لفترة وجيزة تحت قيادة الروائية التركية والزعيمة السياسية النسوية "هاليد أديب" التى عملت كمفتش للمدارس في ١٩١٦-١٩١٧ في دمشق ، بيروت ، و جبل لبنان ؛ أى ذنب اقترفه هؤلاء الأبرياء الأطفال و الأمهات ، ليقوموا بتعذيبهم لصالح إعادة تأهيل تركيا.

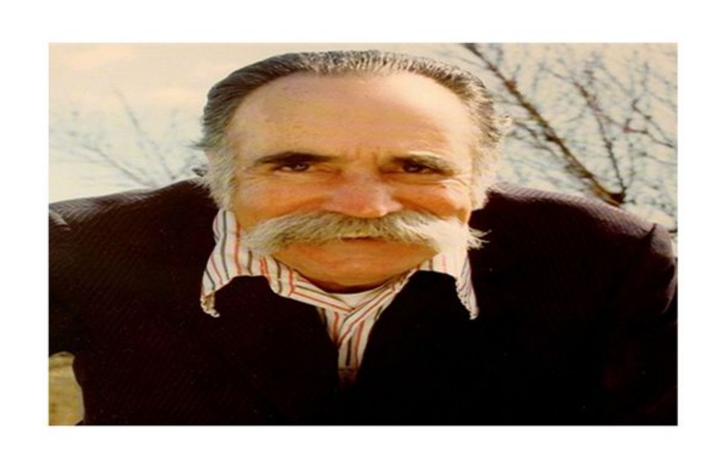
و حتى لا يخدعك قائل بأن تلك القصص هى مجرد روايات و أحداث من نسج الخيال كأنها مشاهد من أعمال درامية أو سينمائية لا تمت للواقع بأى صلة ، يبقى التوثيق خير دليل و إثبات على بشاعة الأحداث ،حيث توجد ملايين الوثائق التى أرسلها الدبلوماسيون الغربيون بالأستانة والولايات العثمانية إلى وزراء الخارجية التابعين لها: بريطانيا، الولايات المتحدة، فرنسا، ألمانيا، النمسا، روسيا وغيرها،وهذه الوثائق توثق لحظة بلحظة ما جرى للأرمن من انتهاكات واضطهادات وملاحقات وتعذيب واغتصابات.

باختصار، توثق كل المآسى التى ألحقها الأتراك والأكراد بالشعب الأرمنى الأعزل، وفى العالم العربى عمومًا ومصر خصوصًا، آلاف الشواهد الدالة على فظاعة الجرم التركى بحق الأرمن والإنسانية.

يوجد سيلٌ من الصحف العربية التى سجلت يومًا بيوم آلام الأرمن والمذابح التى تعرضوا لها حتى انتهت بالإبادة فى عام ١٩١٥،ويكفى تصفح جريدة ''الأهرام'' منذ أن صدرت فى ٥ أغسطس ١٨٧٦ حتى نهاية مؤتمر لوزان ١٩٢٣ ؛ليدرك بنفسه حجم الكوارث التى أصابت الأرمن، كما جاء بالصفحة الأولى من الجريدة المصرية " اللطائف المصورة " فى العدد المائة و الثلاثة و الثمانون لعام ١٩١٨ تتكلم الصحيفة في صفحتها الأولى عن أهوال المذابح الأرمنية الأخيرة و نشرت الصحيفة عدة قصص من أحداث حدثت مع أناس أرمن في إحدى المذابح.

و ذكرت الصحيفة في عنوانها عبارة "المذابح الأخيرة"؛ لأن المذابح كانت متكررة بشكل متسلسل في فترات عدة أولها "مذابح الحميدية"، و التي كانت قبل ١٩٠٠ أي ١٨٩٤-١٨٩٦و بعدها "المذابح الكبرى" في ١٩١٥ ،و التي استمرت حتى قدوم أتاتورك إلى الحكم ،و هذه المذابح خلال هذه الحقبة الزمنية يُطلق عليها عبارة "الإبادة الجماعية الأرمنية"، و التي راح ضحيتها قرابة مليونين من الأبرياء .

كما كان هناك أيضًا الكتاب الأحرار والشرفاء الذين رفضوا انتهاك الإنسانية بهذه الصورة النكراء،



نذكر من هؤلاء "مصطفى لطفى المنفلوطى" الذى كتب فى (النظرات): "لا همجية فى الإسلام"، وولى الدين يكن التركي الجنس العربى الهوية الذى كتب (المجهول والمعلوم)، "فكرى أباظة" (الضاحك الباكي) ،و"سليم البشري" شيخ الجامع الأزهر الشريف "فتوى بتحريم قتل الأرمن؛ لأن هذا يلحق العار بالإسلام والمسلمين، والدين الإسلامى الحنيف ليس به أى نص يحض على قتل المخالفين فى الدين".

وفى نوفمبر ١٩١٦، أصدرت جريدة المقطم القاهرية كتاب المحامى السورى فايز الغصين وعنوانه (المذابح فى أرمينيا)، وهو أول كتاب فى العالم بتحدث عن هذه المذابح ويفضح الانتهاكات التركية، ويبرئ الإسلام من الحض على ارتكاب المذابح والإبادات فى حق البشر الأبرياء .

إن مصر دائمًا و أبدًا تمد يدها دائمًا للأرمن بكل الود و المحبة و الأمان حيث إن العلاقات المصرية الأرمنية تتسم بخصوصية تاريخية وثقة متبادلة بين الشعبين، وعلاقات تعاون وثيقة وبناءة، وخلال السنوات الماضية تمكنت مصر وأرمينيا من تطوير التعاون الثنائي وتعميقه؛ لذا بادر البريد المصري بإصدار طابع بريد تذكاري بمناسبة مرور ٣٠ عامًا على العلاقات المصرية الأرمينية؛ خاصة و إن الطوابع التذكارية تعد وسيلة من وسائلالاتصال الثقافي بين مختلف دول العالم وشعوبه، وتوثق تاريخ الأمم على مر العصور؛ لذلك يحرص البريد المصري دائمًا على إصدار الطوابع التذكارية بهدف توثيق العلاقات الدبلوماسية القوية التي تجمع بين البلدين الصديقين. فحقائق التاريخ كمعالم الجغرافيا ثابتة يصعب تجاوزها، وإن أفضت إلى صراعات ونزاعات وتأويلات مختلفة بشأن طبيعتها وتبعيتها، هذا ما ينطبق على "مذابح الأرمن"، فمع إحياء الذكرى السابعة بعد المئة لارتكابها على يد القوات العثمانية في الفترة ما بين ربيع ١٩١٥، وحتى خريف ١٩١٦، لا تزال وقائع تلك الأحداث تلقي بظلالها على علاقات أنقرة الخارجية حاملة في طياتها آلام ومعاناة الشعب الأرميني ؛ أما الأن بعد مرور أكثر من قرنًا من الزمان سنظل نردد بكل قوة و عزم و تصميم على خلق أرمينية من جديد و بأعلى صوت مع وليم سارويان الكاتب والمسرحي الشهير :

أَوَدُّ أَنْ أَرى أَيَّةَ قُوَّةٍ في هذا العالم تَسْتطيع
أنْ تُدَمِّرُ هَذا الجِنْسَ،
هَذِهِ القَبيلَةُ الصَّغيرَةُ مِنْ أُناسٍ لا يُعْبَأُ بِهِمْ،
مُحِيَ تاريخُها،
وَشَنَّتْ حُروبَها، وَخَسِرَتْها
وانْهارَتْ أَساساتُها،
وَلَمْ يَعُدْ أَدَبُها يُقْرَأْ،
وَلَمْ تَعُدْ موسيقاها تُسْمَعْ،
وَحَتّى صَلَواتُها، لَمْ تَعُدْ تُسْتَجابْ
هَيّا انْطَلِقوا، وَدَمِّروا هَذا الجِنْسَ!
لِنَقُلْ أَنَّنا الآن في سَنَةِ ١٩١٥ مَرَّةً أُخْرى،
وَهُناكَ حَرْبٌ في العالَمِ،
هَيّا دَمِّروا أَرْمينِيا،
وَانْظُروا إِنْ كُنْتُمْ تَسْتَطيعونَ أَنْ تَفْعَلوا هَذا.
أَخْرِجوهُمْ مِنْ بُيوتِهِمْ نَحْوَ الصَّحارى،
اتْرُكوهُمْ هُناكَ بِلا خُبْزٍ أَوْ ماءٍ،
احْرِقوا مَنازِلَهُمْ وَكَنائِسَهُمْ،
وَانْظُروا، إِنْ كانوا لا يَحْيَوْنَ مَرَّةً أُخْرى!



القضية الأرمنية
خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤_١٩١٨)

بقلم: د. مروة فوزي شهاب

أولاً: موقف الأرمن من الحرب العالمية الأولى

اندلعت الحرب العالمية الأولى عندما اغتيل الأمير النمساوي فرانز فرديناند في ٢٨ يونية ١٩١٤ ،على يد الصربي جافريلو برينسيب في سيرايفو؛ مما أشعل الأزمة بين النمسا والصرب وتم قطع العلاقات بينهما، وأرسلت حكومة النمسا إلى نظيرتها الألمانية تطلب تأييدها فوافقت ألمانيا، وبناءً على هذا قامت روسيا بتحريك قواتها للدفاع عن الصرب بموجب تعهدها عام ١٩٠٩، بالدفاع عنها مقابل الاحتلال الروسي للبوسنة، فاعترضت ألمانيا. ومن هنا أُعلنت الحرب في١ أغسطس ١٩١٤، وطلبت مساعدة الدولة العثمانية، فوافقت شريطة أن يساعدهم الألمان في تحقيق حلم الطورانية، وبهذا تكون دخلت الدولة العثمانية الحرب في ٥ نوفمبر ١٩١٤ إلى جانب دول الوسط _ المحور_ ألمانيا والنمسا والمجر.

وبناءً على ما سبق، أعلنت روسيا الحرب في ٢ نوفمبر ١٩١٤،وانضمنت إليها فرنسا وبريطانيا في ٥ نوفمبر فى العام ذاته ثم ، انضمت إيطاليا والولايات المتحدة إليهم؛ فشكلوا بذلك كتلة الوفاق _الحلفاء_، وبهذا تحولت الحرب الأوروبية إلى حرب عالمية.

وكانت الهضبة الأرمنية مسرحًا للحرب ،وحاولت كل من الدولة العثمانية وروسيا القيصرية استمالة الأرمن إلى جانبها، وقد ذهب وفد اتحادي لمقابلة زعماء حزب الطاشناق، وعرض عليهم أنه عند نشوب حرب مع روسيا ،فعلى الطاشناق تحريض الأرمن في روسيا على القيام بثورة فيها؛ بهدف تسهيل دخول القوات العثمانية إلى ما وراء القوقاز في مقابل موافقة الاتحاديين على إقامة دولة أرمينة. بيد أن قيادات الطاشناق أكدوا لهم بأنهم تبنوا سياسة الحياد. وفي الحقيقة أبرمت روسيا اتفاق معهم بأنه في حالة وقوع حرب،فإن الأرمن يقوموا بعمل ثورة في الدولة العثمانية وأيدوا روسيا.وحث الطاشناق الأرمن على تسليح أنفسهم ضد العثمانيين، وتم تشكيل أربع فرق من المتطوعين الأرمن. وقدمت روسيا ٢٤٢٠٠٠ ، روبل لتوفير الأسلحة وتدريب الأرمن العثمانيين وتنظيم ثورات في أرمينية العثمانية؛ لخلق حالة من الذعر في الجزء الخلفي من الجيش العثماني.

وفي ضوء ذلك، توافد المتطوعون الأرمن في الدولة العثمانية وفرنسا وبريطانيا وبلغاريا وروسيا إلى القوقاز للانخراط في الجيش الروسي ،وتم إنشاء مكتب وطني في جورجيا لتنظيم حركة المتطوعين الأرمن، وانخرط في صفوف الجيش الروسي ١٢٠ ألف أرمني، علاوة على تطوع الأرمن الروس لمساعدة القوات الروسية وإرشادهم عبر الجبال الأرمنية في جبهة القوقاز، وهو مالم يفعله الأرمن العثمانيون.

وفي ضوء ذلك، أصدر قادة الأرمن أوامرهم إلى جميع الأرمن بضرورة التسليح وعصيان تعليمات الحكومة

العثمانية، وعلى الأرمن الذين انضموا إلى صفوف الجيش العثماني تركه فورًا والانضمام إلى الجيش الروسي.

ثانياً : أحداث الحرب العالمية الأولى على الجبهة الأرمنية وما ترتب عليها

بدأت الحرب العالمية الأولى على جبهتين: الأولى أوروبا، والثانية الهضبة الأرمنية. فبالنسبة للجبهة الأولى، قامت روسيا بهجوم كبير على ولاية بروسيا الشرقية الألمانية، وتم هزيمتهم على أيدي ألمانيا، وأيضاً قامت بريطانيا بحملة على الدردنيل،ولكنها فشلت في سبتمبر ١٩١٥،فاضطرت إلى الانسحاب وضاع أمل روسيا في فتح الطريق لتوصيل المواد العسكرية اللازمة لقوات الحلفاء، وفي عام ١٩١٦ بدأت كفة الحلفاء ترجح وقد انكسرت حدة الهجوم الألماني.

وفي هذه الأثناء، عُقد اتفاق سري في أواخر مارس ١٩١٦ بين بريطانيا وفرنسا بمباركة روسيا ،وهو اتفاق سايكس بيكو لتقسيم أملاك الدولة العثمانية بينهم، وخلال هذا الاتفاق أشاروا بضرورة وضع أرمينية تحت الرقابة الدولية، وأيضاً وقع اتفاق ثنائي بين فرنسا وروسيا في ٢٦ أبريل ١٩١٦ ،وافقت فيه روسيا على سايكس بيكو مقابل حصولها على أرضروم وڤان وبتليس وموش حتى وادي دجلة.

أما الجبهة الثانية، فكانت الهضبة الأرمنية مسرحًا للحرب العالمية الأولى، وكانت خطة أنور باشا تطويق القوات الروسية، فدارت رحي الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا على جبهة القوقاز، وتعهد الألمان إلى الأتراك بتشتيت شمل الجيش القيصري، كما قامت القوات الروسية باجتياز الحدود العثمانية في نوفمبر ١٩١٤ ،واستطاعت القوات العثمانية وقف الهجوم الروسي ورد القوات الروسية إلى الخلف ،ودخل العثمانيون إلى مدينة صارغمتش وتم هزيمتهم ،وفقد أكثر من ثلاث أرباع قوتهم وهبطت الروح المعنوية



فرانز فرديناند

للقوات العثمانية ،فأصدرت أوامرها لإخلاء مناطق الحدود الروسية العثمانية من الأرمن لحرية الحركة أثناء الحرب.

وبالفعل تحركت قوات روسية أرمنية من ولاية يريڤان في ٢٨ أبريل ١٩١٥ متجهه إلى ڤان، وحدث اشتباكات بين الأرمن والمسلمين هناك، نتج عنها هروب ٨٠,٠٠٠ مسلم إلى ولاية بتلبس خوفًا من المذابح.

وكذلك قامت القوات الروسية بحملة مزدوجة جنوب الولايات الأرمنية الست عام ١٩١٦ ،وتبع ذلك مذبحة ضد المسلمين في ١٦ فبراير ١٩١٦ ، فاضطر أكثر من مليون مسلم الهرب للحاق بالجيش العثماني في تقهقره نحو إرزنچان واستمر الهجوم واستولوا على إرزنچان، وفي الجنوب استطاعت القوات العثمانية هزيمة القوات الروسية حول بحيرة ڤان، وأمضي الروس هجومًا مضادًا في اتجاه خربوط وسيواس ،ولم تسطع طرد الروس من شرقي الأناضول، إلا أن حدوث الثورة البلشفية عام ١٩١٧ في روسيا قلبت موازين الحرب، فأسفرت عن



جافريلو برينسيب

إلغاء القيصرية وأعلن البلاشفة في ٨ نوفمبر عامئذ مرسوم السلام ،وطالبت روسيا فيه الدول المتحاربة بعقد صلح ديمقراطي، وكذلك حق تقرير المصير لجميع شعوبها بحرية تامة ،وينطبق هذا على أرمن أرمينية الشرقية، وعهد أنور باشا إلى كاظم بكير مهمة تحرير المسلمين الأتراك، واتجه لاحتلال قارص وأردهان وباطوم، إلا أن الأرمن رفضوا الانسحاب من أرضروم ، ولجأ الأرمن إلى الحكومة الألمانية.

وقد تأزم الموقف الدولي، فعلى الجبهة الغربية تحطمت الدفاعات الألمانية، وعلى جبهة الشام استولى الإنجليز على دمشق وحلب وحمص، أما على جبهة البلقان فقد انسحق الجيش البلغاري ومع سقوط بلغاريا رأت الأستانة أن دول الوفاق بمقدورهم التغلغل بحرية تامة عبر تراقيا الشرقية حتى أبوابها، فطلبت الدولة العثمانية بوقف القتال .وكانت هدنة مودروس في ٣٠ أكتوبر ١٩١٨ ،وبموجبها أصبحت مساحة أرمينية ٥٤,٠٠٠ كم٢ ،واحتوت مودروس على ٢٥ ماده كتسريح الجيش التركي، واحتلال مضيقي البوسفور والدردنيل ، وحرية مرور سفن الحلفاء بهم، واحتلال الحلفاء باكو وباطوم مع احتفاظهم بالحق في احتلال أية مواقع استراتيجية داخل الدولة العثمانية، في حالة إذا ما استجدت ظروف تهدد أمنهم وسلامتهم.

وقد كانت الحرب العالمية الأولى فرصة مواتية للاتحاديين للتخلص من الأرمن حيث تم إبادتهم تحت غطاء الحرب، وتُعد إبادة الأرمن عام ١٩١٥ أول إبادة في القرن العشرين، حيث إن رفض الأرمن الانضمام في صفوف الجيش التركي خلق ذريعة للاتحاديين ،كي يتهموا الأرمن بالخيانة والتعاون مع العدو الروسي.

وبهذا، قاموا في ٢٤ أبريل ١٩١٥ باعتقال عدد من الكتاب والشعراء الأرمن، فاحتجت البطريركية على ذلك. . وأفاد الاتحاديون بأن اعتقالهم هو جملة من الإجراءات الأمنية للحفاظ على الاستقرار وتم مصادرة أسلحة الأرمن، وفي نفس الوقت تم تسليح الأكراد والأتراك تحت مسمى تشكيل حرس وطني، زد على ذلك مصادرة ممتلكات الأرمن وإخلاء منازلهم تمهيدًا لإبادتهم ،ونتج عن الإبادة قتل مليون ونصف المليون نسمة، وبهذا ارتكب الاتحاديون أول إبادة عرقية جماعية في القرن العشرين.

حاول الأرمن الوقوف مع الحكومة الروسية خلال الحرب؛ وذلك لتحقيق أهدافهم لإنشاء دولة مستقلة ،إلا أن حدوث الثورة الروسية وإيمان البلاشفة بحق تقرير المصير جعل الأرمن في أزمة ترتب عليها إبادتهم عام ١٩١٥ على أيدي الاتحاديين واتهامهم بالخيانة لعدم الوقوف معهم في صد العدو الروسي.



حوار مع الكاتبة والباحثة الفلسطينية الأرمنية إليزا أغازريان

أجري الحوار/ عطا درغام

إليزا أغازريان، كاتبة وباحثة فلسطينية-أرمنية. نشأت في الحي الأرمني في القدس، حصلت علي ماجستير في علم الاجتماع من جامعة امستردام في هولندا وشهادة في الارشاد وفي تعليم العربية لغير الناطقين بها، وعملت باحثة ومحاضرة لعلم الاجتماع في جامعة بيت لحم في فلسطين وفي مجال الصحافة والتعريب. تعمل حالياً في دائرة الفلسفة واللاهوت والدراسات الدينية في جامعة نايميخن، حيث تنسق مشروع "الأرثوذكسية العالمية"، تعمل معلمة في معهد اللغات في جامعة أمستردام. وتحاورها مجلة "أريك" حول الأرمن في فسطين ؛ وتحديدًا أرمن القدس في الحي الأرمني في القدس.

متى بدأ الوجود الأرمني في فلسطين؟

يُعتقد أن الوجود الأرمني في القدس يعود إلى القرن الرابع للميلاد، حين وفد الرهبان والحجّاج الأرمن ،واستقروا في مدينة القدس بعد اعتناق أرمينيا للديانة المسيحية كدين رسمي للدولة عام ٣٠١ للميلاد. وهناك مصادر تاريخية تُشير إلى وجود أرمني في القدس قبل ذلك، وتحديدًا منذ عهد الملك "ديكران الثاني الكبير"، الذي حكم أرمينيا بين عامي ٩٥ و٥٥ ق.م.، وضمّ منطقة فلسطين إلى مملكته في فترة الرومان. وفي القرن الخامس كان هناك قساوسة وكنائس أرمنية في البلاد، خاصة مع حركة "التنسّك" خلال العصر البيزنطي. ومع مرور الوقت أخذ يتمركز الوجود الأرمني في بيت المقدس حول منطقة كنيسة



الكاتبة والباحثة الفلسطينية الأرمنية إليزا أغازريان

"مار يعقوب" التي يُعتقد أنه تم بناء بعض أجزائها خلال القرن الرابع، واستكمال أجزاء أخرى بين القرن الثاني عشر والرابع عشر، وأصبح "الحي الأرمني" أحد الأحياء الأربعة الرئيسية في مدينة القدس. ووفقاً للتراث التاريخي المقدسي، فإنه كان هناك ٧٠ ديرًا أرمنيًا خلال القرن السابع للميلاد، ووصّى الخليفة "عُمر بن الخطّاب" بحقوق "الطائفة اليعقوبية الأرمنية"، وكانت هناك مراسيم مشابهة قبل ذلك، حيث يُحكى أن بطريك الأرمن في القدس توجه إلى مكة، وطلب من الرسول أمانًا وحماية لرهبانيات الأرمن وأوقافهم وحاز على وثيقة تؤمّن ذلك، وهذا ما تم احترامه عبر العصور. ويملك الأرمن مساحة من بعض الكنائس الشهيرة في القدس مثل "كنيسة القيامة"، و"كنيسة المهد" في مدينة بيت لحم و"كنيسة العذراء" أو "ستنا مريم" في جبل الزيتون وكنيسة على ساحل مدينة يافا.

وخلال الفترة الصليبية، تزوج الملك الفرنسيّ "بلدوين الثاني" الأميرة "مورفيا" الأرمنية ورُزقا بأربع بنات، وتولّت ابنتهما "ميليسندا "عرش مملكة بيت المقدس خلال القرن الثاني عشر، وعملت كملكة للقدس على إعادة تصميم بعض الكنائس وأسواق في البلدة القديمة على التقسيم المعروف عليه حالياً (كسوق العطّارين وسوق اللحّامين وسوق الصّاغة...). وفي عهد "صلاح الدين الأيوبي" أيضاً تم منح بعض الامتيازات للأرمن باعتبارهم من سكان البلاد الأصليين. وعبر العصور كان هناك حضور أرمني في مدينة القدس ونشاطاً تجارياً وحرفيًا وطبيًا وثقافيًا.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الراهب القبطي "يوحنا الأرمني"، صاحب الأيقونات المعروفة في مصر القديمة في القاهرة خلال القرن الثامن عشر، كان معروفًا بـ "القُدسيّ" نسبة إلى نشأته كأرمني مقدسي.

وينقسم أرمن البلاد إلي أربع فئات:

الفئة الأولى: أرمن القدس القدماء الذين يعيشون في القدس قبل الإبادة الأرمنية بقرون، ويتكلمون اللهجة الفلسطينية المقدسية والأرمنية بلكنة خاصة. تضررت هذه الفئة بالنكبة الفلسطينية حيث فقدوا ممتلكات خلال الحرب، وهاجر عدد كبير منهم إلى إستراليا وكندا. ويتجمعون حاليًاً في نادي خاص بهم في حارة الأرمن ولديهم عادات خاصة مثل الصلاة في كنيسة "الزيتون" وأكلات خاصة مثل أكلة اسمها "توبيغ".

الفئة الثانية: الأرمن الذين جاءوا إلى القدس بعد الإبادة الأرمنية، وغالباً في الأعوام ١٩١٥-١٩٢٠ الذين تم ترحيلهم من ديارهم من قبل الأتراك العثمانيين، وكان عدد كبير منهم من الأطفال، وتم احتضانهم في القدس، وأسسوا هناك نوادٍ أرمنية مثل نادي "الهويتشمن" ونادي "الهومنتمن". وحاليًا يشكل أحفادهم العدد الأكبر في الحي الأرمني في القدس.

الفئة الثالثة: رجال الدين، وينحدرون من أماكن مختلفة مثل تركيا وسوريا ولبنان وأرمينيا، ليصبحوا كهنة من خلال الدراسة في "المعهد الديني الأرمني" في القدس. ويعيش بعضهم في القدس منذ الطفولة، حيث ترسل بعض العائلات الأرمنية أولادها للتعلم في المدرسة الداخلية هناك.

الفئة الرابعة: أرمن بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، ولا يسكنون الحي الأرمني وإنما يزورونه مرة أو مرتين في السنة غالباً.

ماذا عن أنشطة الأرمن في فلسطين..؟ وما المهن التي برع فيها الأرمن في فلسطين..؟

برع الأرمن في الخزف، حيث جاءوا في البداية من "إزنك "و"كوتاهية" إلي القدس بهدف المشاركة في ترميم قبة الصخرة، وبقوا في القدس ودربوا الحرفيين، وفتحوا الورش الخاصة بهم، وكانت حرفة محبوبة وتشير إلى المكانة وتزيين المنزل.

كذلك كانت أولى المطابع الفلسطينية في الحي الأرمني في القدس، وأولى ورشات التصوير الفوتوغرافي أيضًا، وذلك حين قرر الأب والبطريرك "يساي غرابيديان" الأرمني رعاية حرفة التصوير خلال القرن التاسع عشر. وإضافة إلى التصوير عُرف الأرمن بفن صياغة المجوهرات، وشركات السياحة.

كذلك هناك محلات مشهورة لتصفيف الشعر في حي شارع صلاح الدين في القدس مثل "سركيس"، و"خاشو "، ومحلات جارو" و"فاروچ" و"إيليا" للتصوير. هذا إضافة إلى مهنة الصيدلة والتمريض والموسيقى (مثلاً المغني "چارو" وفرقة "أبو أند ذي ابوستلز" و"شيبات" التي كان لديها أعضاء أرمن)، وأيضًا في صيانة السيارات وفي الخدمات والمصانع، وفي مهنة الصحافة والإعلام. وخلال الانتفاضة الفلسطينية الأولى كان هناك حاجة لمنتجات فلسطينية أمام العصيان المدني الفلسطيني ومقاطعة البضائع

الإسرائيلية. وهنا برزت منتجات محلية ومصانع في رام الله مثل "سليڤانا" للشوكولاته (لعائلة مارديروسيان) ومصنع "تاكو" ومشغل "مومچيان" للذهب التي كانت معروفة خلال الثمانينات وعصر الانتفاضة الفلسطينية باعتبارها منتجًا فلسطينيًا-أرمنيًا بامتياز.

هل هناك تمازج بين الثقافتين العربية والأرمنية في فلسطين..؟ وما مظاهر هذا التمازج؟

إن حجارة بلادنا تشهد على عبق الثقافات المتنوعة التي حافظت على خصوصياتها، وفي الوقت نفسه اندمجت وتفاعلت، وهي جزء من النسيج الثقافي في البلاد. لا شك أن الأرمن كانوا عبر التاريخ جسرًا بين الشرق والغرب. وجد هذا التميز أحضانًا دافئة لدى العرب في نهايات الدولة العثمانية، حيث تم النظر إلى الاختلاف باعتباره عنصرًا جماليًا ووطنيًا إلى حد ما، وما زال ذلك حاضراً في ثقافة البلاد ونلمسه أيضًاً في الموسيقى. ويُشارك الأرمن في المراسم والأعياد الفلسطينية. فعلى سبيل المثال من تراث مدينة بيت لحم في الضفة الغربية حضور أهالي بيت لحم لعرض كشافة الأرمن كل عام بتاريخ ١٨ و١٩ يناير، ويتم عرضه كل عام في التلفزيون الفلسطيني. ونلاحظ أيضاً أن الأرمن كانوا تاريخيًا ناقلًا ثقافية للثقافة الغربية والشرقية على حد سواء إلى الثقافة الفلسطينية والعربية. ويلاحظ مثلاً انفتاح الأرمن عمومًا على العناصر الثقافية الأخرى، وتوظيفها في الثقافة المحلية، مثلاً في فن التصوير. ومن مظاهر التمازج بين الثقافتين العربية والأرمنية مثلًا ورشة "الخزف الفلسطيني" في مدينة القدس التي تأسست على يد حرفيين أرمن وأصبحت إحدى رموز الفن الحرفي الفلسطيني، حيث نجد أن الألوان والتصميمات تتضمن عناصر أرمنية وفلسطينية في الوقت نفسه. فهناك صور لغزلان وطيور أرمنية متناغمة مع فن الأرابسك العربي، ونماذج من فسيفساء شجرة الحياة المستوحاة من آثار فلسطين.

يقول أحد الأكاديميين الأرمن: «نحن إثنيًا أرمنيون وقوميا فلسطينيون». فماذا تعني هذه العبارة..؟

لكل إنسان نظرته فيما يتعلق للهوية والقومية. هناك أرمن يعرّفون أنفسهم كأرمن فقط لأنهم يشعرون أنه من الضروري عدم نسيان جذورهم وعدم نسيان قضيتهم. وهناك من يعرّف نفسه كفلسطيني أيضاً أو كأرمني وفلسطيني وإسرائيلي.

نلاحظ اللمسة الأرمنية المصبوغة بالحنين لوطن ضائع، والاحتفال بكافة تفاصيل الحياة وحذافيرها، لدى جيل ما بعد الإبادة، ومحاولة لملمة الشظايا المؤلمة وتحويلها إلى قطعة فنية. يأتي ذلك جنبًا إلى جنب مع التراث الثقافي المحلي في فلسطين الذي يتعرض أيضاً للشرذمة والاحتلال والفقدان والإساءة وانتهاكات حقوق الإنسان. فأتذكر خلال طفولتي كنا في النادي الأرمني ننظر إلى لوحات جبل أرارات الأرمني المفقود بعيون مترقّبة، وفي نفس الوقت كنا نشعر بتواصل مع معالم وطقوس القدس ويافا وحيفا وبيت لحم وعين كارم.... نجد بعض هذه الجوانب أيضاً في كتاب الدكتورة والمحاضرة "ڤارسين أغابيكيان شاهين" "أنا فلسطينية أرمنية" الذي صدر مؤخراً.

إن النشأة الأرمنية بين عدة لغات تمنحك مهارات معينة تم توظيفها لخدمة الوطن. فمثلًا هناك شخصيات أكاديمية فلسطينية من أصول أرمنية مثل الممثل الفلسطيني السابق لدى المملكة المتحدة الدكتور "مانويل حساسيان"، ووالدي الراحل "ألبرت أغازريان" الذي عمل مسؤولًا للوفد الإعلامي الفلسطيني خلال مؤتمر مدريد للسلام، ومديراً للعلاقات العامة في جامعة "بيرزيت" ،وعمل على تعريب المقالات الثقافية موظفاً تلك المهارات اللغوية. وعمل حملة خلال الانتفاضة الفلسطينية الأولى لفتح الجامعات الفلسطينية. وخلال جنازته وضع بعض الشباب العلم الفلسطيني على جثمانه. وهناك علاقات صداقة ومودة وترابط تاريخي بين بعض العائلات الفلسطينية والأرمنية.

وخلال الانتفاضة الفلسطينية الأولى أطلقت قوات الاحتلال النار على شاب أرمني في رام الله اسمه "هاروت كولوزيان" والذي كلله الفلسطينيون شهيدًا.

كانت هناك مبادرات فلسطينية وتبرعات في السنوات الأخيرة لترميم منازل الأرمن المقدسيين والمدرسة والنادي الأرمني. من ذلك قرار رجل الأعمال الفلسطيني "منيب المصري" التبرع بترميم إحدى النوادي الأرمنية بالتعاون مع جمعية" تطوير الأندية المقدسية"، عن روح والدي "ألبرت أغازريان"، الذي عمل لسنوات كمدير للعلاقات العامة في جامعة بيرزيت. وآمل أن تبقى جدران النادي شاهدة على هذه الصداقة. فأمام الجدران وسياسة الفصل التي يفرضها الاحتلال، نجد أن الأرمن يتحدون هذه التصنيفات نحو ثقافة أكثر استيعابًا تتقبل كل إنسان وتعمل على النهوض الحضاري.

ماذا عن الموقف الأرمني في فلسطين من القضية الفلسطينية؟

مثل غيرهم من المقدسيين هناك توجهات سياسية مختلفة لدي أرمن فلسطين، ومنهم من يُفضل عدم الخوض في السياسة؛ لأنهم يشعرون بخوف على أوراقهم والكلام في السياسة عندهم مخيف جدًا، ويفضلون التركيز على الحياة داخل الحي أو التركيز على التعايش والسلام بين مختلف سكان البلاد. هناك مجموعة أخرى تتكلم عن الوضع بجرأة أكبر. كما ورد سابقاً هناك شخصيات فلسطينية معروفة من أصول أرمنية أو نصف أرمنية شاركت في تسليط الضوء على القضية الفلسطينية أمام العالم، وفي خدمة اقتصاد البلاد خلال الظروف التي مرت بها، وكان لها إسهامات سياسية واجتماعية لخدمة القضية الفلسطينية. من ذلك مثلاً القس الدكتور "نعيم عتيق" الذي كتب مؤلفات عدّة يناهض فيها المسيحية الصهيونية ويوعّي فيها الجمهور الأمريكي حول واقع البلاد وكانت والدته أرمنية، والسيدة الناشطة "نورا أرسينيان كارمي" التي نظمت حراكًا نسويًا في القدس، والكاتب والممثل "ڤوسكرشيان"، والدكتورة "ڤارسين أغابكيان" عضو المجلس الوطني الفلسطيني ، والدكتور "كالوست ڤارتان" الذي ساهم في تأسيس مستشفى الناصرة، والدكتورة "كركشيان" التي عملت لسنوات على علاج الأطفال واللاجئين لدرجة أن الفلسطينيون يسمّون الشارع الذي تعمل فيه بشارع "كركشيان" وغيرهم. فانطلاقًا من كونه شعب تعرض للظلم يرفض الكثير من الأرمن الظلم وانتهاكات حقوق الانسان في البلاد. وفي الواقع يتعرض الأرمن لضغوط متنوعة من قبل قوات الاحتلال مثل سياسة سحب هويات المقدسيين ولمضايقات من متطرفين اسرائيليين يبصقون أحياناً على الكهنة. وكما ذكرت فقد الكثير من الأرمن بيوتهم في البقعة والقطامين خلال النكبة. الكثير من الأرمن يريدون أن يعم السلام والأمان والاستقرار والمساواة في البلاد.

لماذا تتجاهل الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة مسألة الاعتراف بالمجازر الأرمنية رغم تشابه الحالتين الأرمنية واليهودية..؟

لا تعترف إسرائيل لثلاثة أسباب:

الأول: علاقتها الودية مع تركيا، وتركيا تتعاون اقتصاديًا مع إسرائيل، ولها صادرات وواردات كبيرة مع إسرائيل، وتعتبر تركيا وجهة سياحية رئيسية للإسرائيليين، هذا إضافة إلى التحالف العسكري بين تركيا وإسرائيل، بما في ذلك التعاون مع نظام رجب طيب أردوغان.

الثاني: مسألة الاستئثار بالإبادة؛ فإسرائيل تريد التقليل من شأن الإبادة الأرمنية مقابل المحرقة النازية. ويجدر الذكر أنه ورد عن هتلر قوله: "من يتذكر الأرمن؟". للأسف لاحظ هتلر أن إبادة الأرمن تمت ومرت دون محاسبة من قبل العالم ودون عقاب للجناة، وهذا ما أعطاه الضوء الأخضر لارتكاب المحرقة النازية التي راح ضحيتها أطفال ومدنيون أبرياء، وبعد ذلك تعرض الفلسطينيون للتهجير ولذلك

أرى أن اليهود والفلسطينيين هما أيضاً ضحية الإبادة الأرمنية.

الثالث: إستراتيجي، فإسرائيل تعوِّل على تركيا من ناحية التحالف العسكري وردع الإيرانيين، وكان هناك تحالف إسرائيلي-تركي-أذري في قصف منطقة ارتساخ بطائرات دون طيار واحتلالها عام ٢٠٢٠. وهناك إسرائيليون يتضامنون مع القضية الأرمنية، ويتعاطفون مع الإبادة الأرمنية، ولكن الحكومات الإسرائيلية وبعض الجماعات الصهيونية ترفض ذلك وتقف في الولايات المتحدة ضد قرارات الاعتراف بالإبادة الأرمنية.

ماذا عن العادات والتقاليد الأرمنية في فلسطين..؟ وهل تختلف عن العادات الفلسطينية..؟

للأرمن الكثير من المناسبات والأعياد التي يحتفلون بها، والمميز في فلسطين أننا نحيي الأعياد في نفس مدن منشئها ونتبّع تقويماً قديماً. هناك أمور متشابهة وأمور مختلفة. فمثلًا: عيد الميلاد بتقويم بيت المقدس القديم: يحتفل به أرمن فلسطين في ليلة ١٨ يناير، وصبيحة ١٩ يناير وليس في ٦ و٧ يناير؛ لأنهم يتبعون تقويماً قديمًا ولا يغيرونه.. ويتصدره بطريرك الأرمن في بيت لحم ومعه أشخاص من كنائس أخري، وفي تلك الليلة يتم قُداس الميلاد، ويشارك فيه أحد أعضاء السلطة الفلسطينية ورؤساء بلدية بيت لحم. ونحتفل بعيد (ليلة السيدة مريم) نهاية أغسطس وبداية سبتمبر، ونذهب مشيًا علي الأقدام من حارة الأرمن إلي كنيسة السيدة مريم في جبل الزيتون في القدس. وفي نهاية ذلك الموسم تتولى النساء الأرمنيات تنظيف الكنيسة من الشّمع ويتم عمل احتفال في حديقة الكنيسة التابعة للأرمن والصلاة على روح أفراد العائلة المتوفين. وعيد مار جرجس "سورب كيفورك"، ونذهب فيه إلى مدينة الرملة في شمال البلاد ،وفي ذلك العيد نذهب إلي مكان للتنزه.

سبت النور: حيث يأتي الحجاج الأرمن من الخارج وسكان الحيّ المقيمين في الخارج من مختلف الدول كل عام لإحياء مراسم الأسبوع المقدس بالتقويم الأرمني، ويتم في ذلك اليوم الذهاب إلى كنيسة القيامة، واضاءة الشموع، وبعد ذلك العودة إلى الحيّ والصلاة من جديد. ولدينا قداديس تتم في موسم في الظلمة خلال الخميس قبل عيد الفصح، حيث يتم إغلاق كافة الأيقونات بهدف تشجيع الزهد والتأمل. كذلك يحتفل الأرمن ببعض المناسبات الوطنية مثل عيد استقلال أرمينيا في الخريف وعيد ٢٨ مايو. وفي عيد العنصرة تجتمع النساء الأرمنيات ويتم تناول أكلة خاصة تتكون من القمح المزينة بالألوان، وقراءة أشعار أرمنية.

ماذا بالنسبة للأكلات الأرمنية؟ وهل تختلف عن الفلسطينية؟

إن المطبخ الأرمني مشهور في البلاد، حيث هناك الأكلات الخاصة. مثلًا ما زال الفلسطينيون يسمّون اللحم والعجين بـ "اللحم والعجين الأرمني"، وهم مشهورون في فلسطين بأكلات البرغل. وهناك أكلة اسمها "توبيك" يشتهر بها أرمن القدس الأصليون وأكلة "المانتيه" الأرمني والخبز الأرمني، و"الإيتش" وأكلة الهريسة (قمح مع دجاج أو لحم) وكبّة العدس على الطريقة الأرمنية. كذلك تعلّم الأرمن اكلات محلية أو يذهبون إلى تناولها في بعض المناسبات مثل المسخّن والبربارة والملوخية والكنافة الفلسطينية، وتناول القطايف في رمضان، وتهنئة اخوتهم الفلسطينيين في رمضان، مثلهم مثل غيرهم من المقدسيين. كذلك .

هل يشعر الأرمن في فلسطين بأنهم أقلية..؟ وكم أعدادهم في فلسطين..؟ وما الأماكن التي تشهد تمركزهم..؟

إجمالًا يعيش في فلسطين ما يقرب من ألفي أرمني، وأغلبهم في القدس وبالتحديد في الحي الأرمني. صحيح أن عدد الأرمن قليل نسبيًا، لكنهم نخبة لأن لديهم ممتلكات وكنائس هامة ومناصب وأعمال، ويمتلكون مساحات في القدس وبيت لحم ويافا وحيفا، وهم يشعرون أنهم جزء لا يتجزأ من تركيبة البلاد. ويتركز الأرمن الأرثوذكس في الحي الأرمني في القدس، وتسكن بعض العائلات الأرمنية الكاثوليكية حول كنيسة الأرمن الكاثوليك في الحي المسيحي على طريق "درب الآلام"، وهناك عائلات أيضاً في اللد وعكا والرامة.

ما مظاهر إحياء ذكري الإبادة الأرمنية في فلسطين..؟

في كل عام نشارك في مسيرات إحياء ذكرى الإبادة الأرمنية. غالباً ما نجوب في شوارع المدن مطالبين بالاعتراف وزيادة الوعي حول القضية الأرمنية، ونتذكر شهداءنا، وأحيانًا يذهب شباب من الجالية للتظاهر قرب مقرات الحكومة الإسرائيلية لمطالبتها بالاعتراف. في القدس تبدأ المسيرة بقداس في كنيسة "مار يعقوب"، وبعد ذلك يتحرك الموكب إلى مقابر الأرمن، ونواسي بعضنا البعض. أحياناً نرتدي ملابس تشير الى الحداد أو قمصان تذكر بحدوث الإبادة. وحين كنت صغيرة كنا نقابل سيدات عشن الإبادة وكنا نعزيهن ونسمع شهاداتهنّ. أحيانًا أيضاً نتناول القهوة في مقر "المعهد الأرمني للكهنة"، ثم نتوجه بعد ذلك إلى النوادي، ويتم أيضًا إلقاء القصائد الشعرية والأغاني ومشاركة الشهادات الحية. يتم ذلك في يوم الرابع والعشرين من أبريل، وأحيانًا اليوم الذي قبله أو الذي يليه. وبعد حرب أرتساخ عام ٢٠٢٠ نتذكر أيضاً شهداء أرتساخ (الذين يبلغ عددهم قرابة ٧٠٠٠، أغلبهم من الشباب الذين لم تتجاوز أعمارهم ٢٤ عاماً).

ماذا عن نظام التعليم الأرمني في فلسطين؟ ومن الذي يشرف عليه.؟

هناك مدرسة أرمنية في القدس ودرست فيها الشاعرة الفلسطينية العالمية "ناعومي شهاب ناي". وتخرجت منها أجيال. وفيها يؤدي الطلاب الامتحان البريطاني، ويتعلمون الأرمنية والعربية والإنجليزية واللغة العبرية. وهناك من يدرس في مدارس أخرى.

هل يرجع تناقص الأرمن والهجرات خارج فلسطين إلى الاحتلال ..؟أم أن هناك عوامل أخري..؟

يعود ذلك لعدة أسباب، منها طبعًا الاحتلال وجدار الفصل العنصري وسياسة سحب الهويات التي ينتهجها؛بمعنى أنك إذا سكنت في منطقة معينة من البلاد أو سافرت للدراسة أو الزواج يتم حرمانك من العيش في القدس. وهذا يؤثر على التنوع الثقافي في البلاد،وهناك أيضاً النزاعات السياسية التي حرمت عدة عائلات أرمنية من بيوتها. ومنعهم أحيانًا من الصلاة من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلية، مثلما حدث هذا العام خلال أسبوع الفصح، وهي سياسة يومية يعاني منها الأرمن. أمام وجود جدار يفصلهم عن فرص التوظيف في المناطق الفلسطينية يعمل بعض الأرمن في مصانع ومطاعم وفنادق إسرائيلية، وهناك لديهم حقوق عمل أحيانًا، ولكن يتعرضون أحياناً للعنصرية.والسبب الآخر هو الوضع الاقتصادي وفرص العمل والتوظيف في الخارج، ثم طبعًا هناك الزواج في الخارج.

كيف ترين مستقبل القضية الأرمنية بعد كل هذه السنوات..؟

كان ما حدث في أرتساخ (إقليم ناغورنو كرباخ) صدمة كبيرة للأرمن وللإنسانية حول العالم. ففي الوقت الذي لم يسكن فيه الأذريون في تلك الرقعة من أرمينيا لأكثر

من ٨٠ عاما؛ فإنهم سيطروا على المنطقة واستخدموا أسلحة غير متكافئة ضد الأرمن. ومن المؤلم أن هناك تصريحات سياسية أحياناً من قبل الأذريين والأتراك التي تبرر قتل الأرمن. إن موجات اللجوء والهجرة في الوقت الراهن ستشكل تحدٍ أمام الحفاظ على الهوية الأرمنية..وفيما يتعلق بأرمينيا، أعتقد أن مستقبل القضية الأرمنية سيعتمد على المتغيرات الجيوسياسية في منطقة القوقاز والصراعات الدائرة هناك في هذا الوقت.

ماذا تمثل القدس عند الأرمن..؟ وهل يفد إليها الحجاج الأرمن من خارج فلسطين..؟

تحمل القدس رمزية خاصة في المخيّلة الجماعية الأرمنية إجمالًا. فهناك جبل أرارات، ومعالم أرمينيا الحالية، وكيليكيا، وأرتساخ، والقدس. فعبر العصور وفد الحجاج الأرمن للقدس في الصلاة، وفي نهاية بعض الشعائر الدينية الأرمنية، يتم ذكر مدينة القدس. فالقدس لها رمزية دينية وثقافية وروحية، باعتبارها مهد الديانات السماوية.

ما الذي يربط بين الأرمن في فلسطين والوطن الأم في أرمينيا..؟

بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، يذهب بعض الأرمن الفلسطينيين إلي أرمينيا للسياحة والاستثمار، وهناك خطوط مباشرة بين تل أبيب وأرمينيا. ولذلك يسافرون مرة أو مرتين في السنة، كما يشاركون في الأولمبياد الأرمني.

ما أبرز المعالم والمؤسسات الأرمنية في فلسطين...؟

أبرز المعالم لدينا هي بطريركية الأرمن وهي مساحة واسعة نسبيًا يوجد فيها كنيسة "مار يعقوب" في القدس في الحي الأرمني، وتتضمن أيقونات وممتلكات أثرية وتاريخية، وكنيسة الملائكة او الزيتونة. ويعد موقع الحي الأرمني الذي توجد فيه البطريركية إستراتيجياً وخاصاً من نوعه، ومحاذيًا لقلعة داود ويبعد قرابة ٧ دقائق مشيًا من كنيسة القيامة، و١٠ دقائق مشيًا من حائط المبكى وقبة الصخرة والمسجد الأقصى. ويوجد للأرمن أيضًا مساحة خاصة في كنيسة القيامة وكنيسة العذراء مريم على جبل الزيتون، وفي كنيسة المهد أيضاً، وكنيسة في القدس الغربية وفي يافا قرب البحر المتوسط وغير ذلك أيضاً.

وتم وضع نصب تذكاري للإبادة الأرمنية في الحيّ الأرمني. ومن ناحية النوادي لدينا نادي الهومنتمن (الطاشناق) المشهورة بالرياضة وكرة القدم، ونادي الهويتشمن (الهانشاك والرامجافار) يتميز بالثقافة والفنون، والجمعية الخيرية الأرمنية (باري سيرادز) والجمعية النسوّية الوطنية الأرمنية (هوم).

كيف ترين مستقبل الأرمن في العالم العربي في الوضع الراهن؟

نلاحظ وجود موجتين: الموجة الأولى هي تناقص أعداد الأرمن وتحولهم إلى لاجئين في بعض الدول العربية وشعورهم بالخوف من الفتن وعدم الاستقرار السياسي، مثلاً في العراق ولبنان وسوريا. مقابل ذلك يُلاحظ إتقان الأجيال الجديدة للغة العربية وحضورهم في الإعلام في الوقت الراهن بشكل لم يسبق له مثيل في بعض الدول العربية. فمثلاً في لبنان هناك "بولا يعقوبيان" و"نيشان" و"زاڤين"، وفي سوريا هناك الممثل السوري "سلّوم حدّاد" وفي الأردن هناك الممثلة الأردنية "چورچيت عواد" وغير ذلك. وتزيد أعداد الأرمن في بعض الدول مثل الامارات. وهناك أكثر فأكثر جمهور أرمني يفضّل أن يقرأ باللغة العربية ويلاحظ بروز مواقع ومجلات أرمنية باللغة العربية وهو ما يمثل تطوراً في هذا الصعيد.وكانت الدول العربية حاضنة للأرمن والثقافة الأرمنية بعد الإبادة، ففيها تمكن الأرمن من ممارسة شعائرهم والحفاظ على هويتهم.

أشعر أننا في العالم العربي ننتقل تدريجيًا إلى مراحل ما بعد الحروب. مراحل سنُعيد فيها بناء مجتمعاتنا من جديد بشكل أوعى وأكثر استيعاباً، وهناك مقومات لمجتمعات أكثر نهوضًا بحقوق المرأة والإعلام واحترام الآخر بغض النظر عن دينه أو لونه أو عرقه أو لغته. آمل أن نعتبر من التاريخ، ونعمل جميعًا على بناء أوطان قائمة على الاحترام والإبداع والكرامة الإنسانية.



حكاية أمة : أنا الأرْمَنْلي

شعر: لوسي كاسبيان

أنا الديوان   اقرأني الأن
نعم لا أصلّي   فأنا أرمنلي
وجودي صلاة   حدودي أناة
غربتي داء   وشَغَفي دواه
قَدَري الإختلاف   أنبُتُ بالجفاف
صوتي مزمار شجين   ولُغَتي الحنين
بوطني أنا أدين   وقلبي لا يسير
في غير الإتجاه   غَطّت الكون مياه
وجَبَلي انا صلاة   من فُلْكِه نَزَل نوح
وأعاد لنا الحياه   وبِسِرّي الجَبَل يبوح

مَهْمَا صَنَعنا أمجاد   نَحْكي شقاء الأجداد
أنا أرمنلي   لا أحد يُمْلي
عليّ ما أدين   في هذا
قلبي حجر   جامد ركين
وحكايات الألم   أحكيها بلا سأم
أذكر وأتذكر   وعَدُوي النسيان
به لا يُستهان   أقاوم وأقاوم
على المقاومة   أداوِم
نعم أنا الأرمنلي   قالوا: أبوه ما يصلي
تاريخ شعبي حزين   لكن ليس مسكين

من قَطَع الصحراء   به لا تَسْتَهين

شعبٌ من الأيتام   افترَش الرمال ونام

جرح بلا إلتئام   نَذْكُرَه ونسير

فالجرح لا يَضِير!   أرادو لي الفناء

وبقائي كان المصير   به كنت جدير

قالوا هيا نُبِيد   فصِرت ببلد جديد

وعني عرفوا المزيد   فَضْلُ "عبد الحميد"

نعم أنا الأرمنلي   أنا من لا يصلي

من قبل ذا الزمان   وقف لهم "فارتان"

سقط بزهوٍ شهيد   عن دينه لم يحيد

قل لي ما الجديد؟!   لم يجدي معهم نار

ولا سيوف حديد   موت الجهالة موت

وموت الشهادة خلود   عليه العمر ضَن

وعلى وطنه يجود   نعم أنا الأرمنلي

وليومي لا أصلي   ديرٌ بكل رُكن

من ينظر لي يظن   أن الوقتَ لم يجري

وأن حكم الزمن   على أرضي لا يسري

أرادوا قطع الدابر   فصرت شعباً مهاجر

ماهر صانع أوطان   مهما كان المكان

لم يعد له حدود   فكثر له الوجود

من جارعليه أخوه   ربه له يَزود

إسمي ينتهي بال "يان"   تجدني أينما كان

من كندا إلى لبنان   سَمِعْتَ عن "الهوية"؟

سَمِعْتَ عن "الشتات"؟   أنا على الواحد أصحو

وعلى الآخر أبات   نعم! أنا الأرمنلي

نعم! لا أصلي   أجيال أتت

وأجيال مَضَت   ولم ترى الوطن

رؤية العين ذَهَدَت   وبالقلب إقترن

مرروا لنا التاريخ   ما ظهر وما بَطَن

وأخذنا عبر الأجيال   أصلٌ بلا جدال

فصرت غير مبال   بيمين أو شمال

مهما زاد الأنين   بوطني أنا أدين

قهروني من حين لحين   وبغيره لم أدين

وفعْلي أحد لم يُمْلِي   نعم أنا الأرمنلي

أرمنلي أنا   مُجْنِيّ أم جَنَى!

مازالوا ينكرون   عنفاً يبررون

بشغف يشرحون   جدلاً يجادلون

وأبقى هنا   أرمنلي أنا

أتَذَكّر وأذْكُر   أعافر وأطالب

مغلوب كنت   أم غالب

سأذكر وأتذكر   مهما أنكر من أنكر

نعم أنا الأرمنلي   قالوا أبوه ما يصلي

لم أرسم الحدود   لكن أنا موجود

نعم أنا الأرمنلي   نعم لا أصلي

فبوجودي ألقاه   وبقائي هو الأصل

هو ثمر الصلاة   وبقائي هو الأصل

خير لي ارتضاه   فلبثت أحفظه،

أحمله، وأرعاه   أنا أرمنلي

وبِحَمْلي الصليب   أضمد جرحي

فيطيب   أهجر النحيب

وألهج الصلاة   أنا أرمنلي

وسَلَفي هُمْ   أول الرعاة



بصمات الأرمن في المشرق العربي

بقلم :أ.د إبراهيم محمد مرجونة
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

بدأ اتصال الأرمن بالعرب منذ بداية الفتوحات الإسلامية وسقوط الإمبراطورية الساسانية الفارسية عام ٦٤٢م. ونتج عنه احتكاكات بين الأرمن الذين كانوا قد اعتنقوا المسيحية عبر المبشّر (المنصّر) غريغوري (جرجورة) نحو عام ٣٠٣م، وكثيرًا ما تدخّلت الكنيسة عبر رئيسها بتهدئة الاحتكاك والصراع بين أمراء الأرمن والخليفة الأموي عبد الملك بن مروان عام ٧٠٢م. وهو ما أدى إلى استقرار الأمور وازدهار العلاقات، لا سيما، بعد العهود المواثيق التي وقعت بين الخليفة الأموي وملك الأرمن آشوت.

وما أن أخذت الإمبراطورية البيزنطية تبذل محاولات لكي يتبع الأرمن الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية حتى ابتدأ السلاجقة التحرّش عام ١٠٢٠م، ومن ثم انتهى الأمر باحتلال جزء كبير من بلاد بيزنطة، وفي ما بعد أدى إلى اتحاد الأرمن مع الكُرد ليتولى زعامتهم لاحقًا من أطلق عليه مسمى «شاه الأرمن»، وهو كردي من أبناء عمومة صلاح الدين الأيوبي، وذلك حتى الاحتلال المغولي عام ١٢٤٠م، وحينذاك هاجر من أرمينيا أعداد كبيرة إلى أوروبا (بولندا وبلاد البلقان) وبقية أراضي بيزنطة.

تخبرنا الوثائق التاريخية بوجود أدلة يُستشفّ منها من الإقليم الذي تقع فيه أرمينية كانت تسكنه أقوام لا تنتمي إلى العنصر الآري قبل الميلاد بألف وخمسمائة سنة من العنصر الذي يُطلَق عليه في علم الأعراق الحديث اسم «آرمينويد»، ويعتبر الحثيون هم من يمثّل هذا العنصر. وأما سكان تلك البقعة فيطلقون على أنفسهم اسم «كالديني» نسبة إلى معبود كانوا يعبدونه. ولكن نحو ٧٠٠ قبل الميلاد غزت أقوام هندو أوروبية (آرية) مرتفعات أرمينية وفرضت على السكان الأصليين لغتها. وعند بروز الميديين والفرس امتزجوا بهم ليصبحوا ما بات يعرف بالأرمن لاحقًا. إن سكان سلسلة جبال طوروس (في جنوب هضبة الأناضول) ومعظمهم من الفلاحين، وفق علماء الأعراق، كانوا من أصحاب البُنيات القوية الطويلة القامة والأشكال الوسيمة الجميلة، وكانوا يتميزون بالشجاعة أيضًا. أما سكان الوديان فكانوا من أصحاب البنيات المليئة (جسيمون) النشطة والشعر الأسود السابل والأنوف المعقوفة وكانوا زرّاعًا مهرة ورعاة ماشية، وأما أهل المدن منهم فكانوا حرفيين بارعين وتجار ناجحين وذوي ذكاء حاد، مما جعلهم يتعاملون مع أصقاع بعيدة مثل الهند والصين، كما كانت أفراد الطبقة الراقية منهم متعلمين متفوقين. أما إذا حاولنا رصد علاقة الأرمن بالدولة الفاطمية فقد يبدو عنوان العلاقة مع الدولة الفاطمية لأول وهلة غريبا، لأن قلة نادرة من القراء ربما

تعرف هذا الجانب من تأثير الأرمن في الكيانات السياسية التي قامت في العالمين العربي والإسلامي في العصر الوسيط، غير أنها حقيقة ذكرتها المصادر التاريخية، لا سيما في القرن الأخير من الحكم الفاطمي بين عامي ١٠٧٤ و١١٦٣م.

هذه كانت حقبة عابرة لاتفاق دائم بين الأرمن الطائفيين المتعصبّين والمسلمين، نوقشت بمحتواها الشامل كظاهرة لما عُرف بـ«الفاطميين الأرمن»، وتُعدّ جزءًا من تيار تاريخي بدأ قبل رسوخ المسيحية في «أرمينيا الكبرى» بشرق هضبة الأناضول و«أرمينيا الأخيرة» في كيليكيا بغرب الأناضول وسواحل المتوسط خلال القرن الثالث الميلادي. ومنذ القرن الرابع وحتى القرن الخامس عشر شكّلت النزاعات والحركات مرحلة سياسية وثقافية كانت بعمومياتها مذاهب دينية اتخذت لها قرارات سياسية، وكثيرا ما كانت معاكسة للكنيسة الأرمنية في منظورها الشامل.

لكن جزءًا من التاريخ الثقافي الأرمني خلال العصور الوسطى ظلّ مرتبطا بجذور شرق أوسطية، وتحديدا، بالمناخ الإسلامي، إلا أن المؤرخين الأرمن تجاهلوا هذا الارتباط واعتبروه مجرّد شوارد لا يُعتدّ بها، وغاب عن بالهم أنه الحلقة المفقودة للتاريخ الإسلامي الأرمني.

وهنا نشير إلى أن وثائق كتبها «الإسماني» هوفهان الأرضرومي (توفي عام ١٢٩٣م) - والإسمانية (Nominalism) مذهب فلسفي يقول بأن المفاهيم المجرّدة لا وجود حقيقيًا لها بل هي مجرد أسماء لا غير - تُعدّ خلاصة لأفكار ظهرت خلال القرن العاشر الميلادي هي «رسائل إخوان الصفاء»، »، أطلق عليها اسم «رؤية من كتابات المسلمين ومفكّريهم». وممّا قاله هوفهان «لمن يطلب المعرفة من الأرمن ألا يهمل ما يكتبه الأقوام الآخرون»، قاصدا المسلمين ومفكّريهم. كذلك لوحظ أنه كان يكتب عن تضامن شباب الأرمن بالأسلوب نفسه الذي كان الخليفة العباسي الناصر (١١٨٠ – ١٢٢٥) يكتب به أفكاره عن «تشكيلات الفتوة» في بغداد التي لعب المفكّرون الإسماعيليون دورًا مهمًا في بعثها، وبالتالي، اعتُبرت كتابات هوفهان أول اتصال فكري بين الأرمن والمسلمين خلال العصور الوسطى.

أما كتُب «الإسماني» الآخر، كريكور التاتفي (١٣٤٦ - ١٤٠٩)، في الأدب الجدلي، فكانت تخاطب متكلّمي الفارسية من غُلاة المسلمين الشيعة، الذين كانوا مثل الأرمن المتعصبّين المعروفين منذ القرن الرابع. وعرض فيها سبعة قرون من التحالف العسكري والسياسي بين مسلمي تلك الأصقاع والأرمن، ومن ثم تهجير الأرمن إلى نواحٍ مختلفة من الإمبراطورية البيزنطية مثل قبرص وصقلية وصولا إلى بولندا، ما جعل غالبيتهم تعتنق الإسلام. ومن هذه الفئة جاء عدد من الوزراء الفاطميين من ذوي الأصول الأرمنية. وهنا ينبغي تذكّر أن التأثير الإسلامي أخذ ينمو ويحظى بقبول جماعي خلال فترة السيطرة الإسلامية على أرمينيا لمدة تقارب القرنين بعد موجة الفتوحات الإسلامية الأولى. ومن ثم انخرطت في النشاط العسكري مجموعات من المكوّن الأرمني، الذي كانت تغلب عليه حياة الزراعة والرّعي، ونمّت لديه المهارات القتالية والعسكرية، وقاتل بعض الأرمن غير المتعصبّين المعروفين بـ«الأرمن الشمسية» في بلاد الشام بالفعل ضد «الفرنجة» (أو الصليبيين) في الحملات الصليبية.

ولاحقا ازدادت هجرة الأرمن إلى بلاد الشام ومصر، ووفق المصادر الأرمنية فاقت أعداهم المائة ألف.

وفي مصر بالذات بدأ نشاطهم نحو منتصف القرن الـ ١١ الميلادي انطلاقا من بروز دورهم في الجيوش الفاطمية،وتألف منهم ما سمي بـ«الجيوشية»،

ثم تدرّجوا إلى حكم الولايات، ووصولا إلى التوزير، مع تعيين «أبي النجم» بدر الجمالي أول وزير أرمني مسلم عام ١٠٧٤ م.

لا بد لنا هنا من التوسّع في شرح هذه الفترة الأرمنية في مصر الفاطمية وما واكبها من أحداث أدت إلى بروزهم نتيجة النزاعات المستمرة بين الأتراك والبربر والأفارقة المنضوين في الجيوش الفاطمية، والتي أدت إلى أزمات شلّت مفاصل الحكم نتيجة المجاعة، فشارف الحكم على الانهيار، وبلغت أسوأ مراحلها إبان حكم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الذي امتد نحو ٦٠ سنة.

بدر الجمالي: بدأت مسيرة بدر الجمالي صعودا مع تعيينه حاكما لدمشق عام ١٠٦٣م (٤٥٥هـ). وكان حقا من ألمع القادة العسكريين وأكثرهم حنكة وأقدرهم إدارة، وأثبت قدراته الاستثنائية عند توليه قيادة العسكر في عكا بفلسطين إبان فترة الصدامات مع السلاجقة الأتراك والطوائف المحلية المتمردة على الحكم الفاطمي الإسماعيلي. ونجح القائد اللامع في فرض الاستقرار على السواحل بين الشام ومصر، فاستنجد به الخليفة المستنصر عام ١٠٧٣م. وحين عاد بدر إلى القاهرة رأى أن يكون على رأس أولوياته النظر في الشؤون الاقتصادية وتحسين أوضاعها والخروج من الضائقة المالية المطبقة على الدولة، والقضاء على محنة المجاعة، وبعدها إنقاذ البلاد من خطر السلاجقة ومنعهم من مهاجمة مصر نهائيا.

وحقق بدر الجمالي ما هدف إليه، وقضى على الخطر السلجوقي، فأطال عمر الحكم الفاطمي ١٠٠ سنة إضافية. وعندما توفي عام ١٠٩٤م ترك للمستنصر حكما راسخا وقويا، وجاء شكره والامتنان له بما فاق المتوقّع إذ تزوّج المستنصر ابنته، وأعطيت الوزارة لابنه الأفضل من بعده. ومشى الأفضل على سيرة أبيه فشكّل معه عمليا «حكم الأرمن» الذي استمر نحو قرن.

وربما يلاحظ المتابع أن إخلاص الأرمن المسلمين لخلافة الفاطميين الإسماعيليين، على الخصوص، راجع لاحتمالين أساسيين:

الأول: العلاقات الوطيدة التي أرساها الداعية الإسماعيلي أبو حاتم الرازي (ت ٩٣٢م)، الذي زار أرمينية وتقرّب من أباء الكنيسة الأرمنية وكان على معرفة وافية بمذاهبها واتجاهاتها، مما عزّز التقارب بين الفئتين.

والثاني: زواج الخليفة المستنصر من ابنة بدر الجمالي، الذي أثمر عن إنجاب ولده أحمد (الخليفة المستعلي بالله لاحقًا) الذي كان الوزير الأفضل بن بدر خاله.

المستنصر، ثامن الخلفاء الفاطميين والإمام الثامن عشر للإسماعيليين، توفي بعد فترة وجيزة من وفاة بدر عام ١٠٩٤م، مخلّفا أربعة أبناء هم: نزار وعبد الله وإسماعيل وأحمد. وعند وفاة المستنصر طالب الوزير الأفضل نزار – وكان في الخمسين من عمره حينئذٍ – بإبراز «النص» المكتوب لتوليته (وهذا مبدأ جعله الإمام جعفر الصادق شرطاً لانتقال الإمامة).

لكن نزار أخفق في ذلك وفرّ إلى الإسكندرية واستعان بمريديه، ومنهم حسن الصبّاح، الذي ادعى أن المستنصر كان قد أخبره شفاهةً حين كان في القاهرة عام ١٠٨٦م بأحقّيّة نزار بالخلافة. غير أن الأفضل بن بدر بما لديه من سطوة ونفوذ أسند الخلافة إلى ابن أخته أحمد الذي سرعان ما حكم باسم المستعلي بالله – كما سبقت الإشارة – وكان له من العمر يومذاك ١٨ سنة. ثم هاجم الأفضل نزار ومناصريه، وبعد أسره جلبه إلى القاهرة وسجنه حتى مات في السجن (وفق رواية أتباع المستعلي).

وقع عند هذا المفصل الانشقاق الكبير في المذهب الإسماعيلي بين النزارية (يعرفون في الهند بـ«الخوجا»، وفي باقي العالم بـ«الآغاخانية») والمستعلية (الذين انقسموا إلى فرقتين هما «الحافظية» و«الطيبية» — «البهرة» في الهند — وهؤلاء بقوا ملتزمين النهج الفاطمي)، وظهور حركة الحشّاشين (Assassins) بزعامة حسن الصبّاح، ذي الأصول الحميرية اليمنية، في جبال شمال إيران – وهذا موضوع يطول شرحه. لكن ما يمكن قوله هنا هو أن فترة توزير الأرمن المسلمين بدأت مع بدر الجمالي عام ١٠٧٣م، وانتهت بعد مقتل ابن رزق (رزيق) آخر وزير أرمني ، عام ١١٦٣م. وتولّى خلالها ثمانية وزراء منهم. وللعلم، امتد العهد الفاطمي ٢٦٢ سنة تولّى الخلافة خلالها ١٤ خليفة، حتى أفول نجمها عام ١١٧١م، وتسلُّم الأيوبيين السلطة وإعادة صلاح الدين الأيوبي المذهب السنّي إلى مصر.

الأرمن والدولة الصفوية — إيران : لعب الشاه عباس (أعظم شاهات الصفويين) دورا كبيرا في توطين الأرمن في إيران عند نهاية القرن السادس عشر الميلادي ومطلع القرن السابع عشر — وتحديدا عام ١٦٠٥م — وذلك إبان حروبه المستمرة ضد العثمانيين. وكان العثمانيون نتيجة إنهاكهم في حروب البلقان واجهوا موجة من الثورات والانتفاضات داخل دولتهم، سببها ضيق الناس من استمرار الحروب والتجنيد الإجباري والضرائب الباهظة المفروضة عليهم. ومنحت تلك الفترة الحرجة بين ١٥٩٦ و١٦٠٨م فرصة ذهبية استغلها الشاه عباس لنسف اتفاقيات السلام المعقودة بين الفريقين، عازيا ذلك إلى فقدان الأمان وتكرار تعديّات ولاة المناطق الحدودية على أراضي دولته.

استغل الشاه عباس تلك الظروف، وإن بدا لبعض الوقت وكأنه غير مكترث بما يحدث في الشمال مركزا جهوده جنوبا في التصدي للتوسع البرتغالي في الخليج.

غير أنه سرعان ما باغت العثمانيين بالمسير شمالا نحو مدينة قزوين (العاصمة القديمة)، ثم احتلال اردبيل وتبريز. ومن هناك عبر بجيشه نهر آراس (آراكس) متوغّلا في أرض أرمينية، حيث استسلمت مدنها له دون مقاومة، حتى غدا على مشارف العاصمة الأرمنية إريفان (يريفان). ولقد رافق الشاه الصفوي في زحفه هذا ممثل لإمبراطور النمسا رودولف الثاني الذي استقبله الأرمن بحرارة كونه — يومذاك – ممثل أقوى دولة مسيحية في أوروبا، وكانت تقاوم التوسّع العثماني في العالم المسيحي. ونظم الأرمن احتفالاً مشهودًا للجيش الصفوي حين دخل مدينة جلفا، التي كانت لتجّارها مصالح واسعة مع إيران.

وعلى صعيد تلك المعارك، استسلمت الحامية العثمانية في إريفان للصفويين طوعًا بعد محاصرتها العاصمة الأرمنية، وتلقى الشاه الصفوي تهاني الإمبراطور أكبر، إمبراطور الهند المغولي. وكنتيجة للتوسع الصفوي بدأت الإمبراطوريات والممالك الأوروبية ترسل سفراءها إلى الشاه عباس، وكانت الغاية أن تتضامن كلها للانقضاض على العثمانيين الذين كانوا يقلقون أوروبا المسيحية. وفي المقابل، جرّد العثمانيون حملة عسكرية لصدّ تقدم جيش الشاه عباس قادها القائد (والصدر الأعظم لاحقا) سنان باشا.

وهنا، قرّر الشاه عباس الانسحاب، وطلب ذلك أيضا من الأرمن في إريفان ونخجوان وجلفا، وناشدهم ألا يتركوا أي مؤن أو طعام للجيش العثماني المتقدم، وبلغت أعداد الأرمن المنسحبين مع القوات الصفوية عبر نهر آراس نحو ٦٠ ألف عائلة.

حظي أرمن جلفا لذلك بمعاملة مُميزة من الشاه، فباتوا وسطاءه المفضّلين في توسيع تجارة الحرير الخام

إلى أوروبا. وكان هذا الحرير يرسل إلى أسواق أوروبا عبر حلب مقابل عملات فضية، كما كان يرسل وفودا منهم إلى البندقية بإيطاليا للقيام بالمهمة نفسها، خصوصا أن الشاه عباس نفسه كان من أكبر المتاجرين بالحرير الخام، بل كان عمليا يحتكر تجارته في كل البلاد.

بناءً على ما سلف، تجدر الإشارة إلى تولّي الأرمن الوزارة حين ساءت الأحوال السياسية والاقتصادية في دولة الصفويين في أعقاب وفاة الشاه عباس، كما حصل لهم من قبل مع الفاطميين. إذ جرى توزير خليفة سلطان عام ١٦٥٤م، وبعد وفاته خلفه محمد بك وهو مثل سلفه من الأرمن المسيحيين الذين تحوّلوا إلى الإسلام. ويمكن اعتبار عام ١٦٠٥م بدء تاريخ استقرار الأرمن في إيران، ومن ثم ازداد تدفقهم، ومنها انتشروا لاحقا في عدد من الأقطار العربية بعد سقوط الدولة الصفوية عام ١٧٢٢م التي كانت تحميهم.

الأرمن في العراق إبان الحكم العثماني

لعبت الأقلية الأرمنية دورًا مهمًا وكبيرًا في العراق، وتحديدًا في القطاع التجاري، منذ بداية القرن الميلادي السابع عشر مستفيدة من سياسة الصفويين وحمايتهم، وكانت تلك السياسة تقوم على تنشيط الحركة التجارية اعتمادًا على الأقليات الإثنية. وبالإضافة إلى الأرمن استفاد أيضًا من هذا المناخ التجار اليهود والهنود (البانيان). وكانت الدولة الصفوية قد جعلت من عاصمتها أصفهان مركزًا تجاريًا رئيسيًا لجذب المصالح الأوروبية في منافسة مباشرة مع النفوذ العثماني الذي كان يغطي العراق، ونجحت في التحالف مع بريطانيا بشل التوسع البرتغالي في الخليج والقضاء عليه نهائيًا عام ١٦٢٢م. وهنا من المفيد الإشارة إلى أنه إبان فترة الاحتلال الصفوي لبغداد تولى حكم المدينة ضابط من أصل أرمني هو بكداش باشا (١٦٣٠ – ١٦٣٥م).

غير أن غروب شمس الصفويين عام ١٧٢٢م حمل معه فقدان الأرمن الرعاية القوية التي حظوا بها نحو قرن من الزمن، لكنهم مع ذلك حافظوا قدر الإمكان على مكانتهم المالية والتجارية المهمة، وظل وضعهم طيبا قرنا آخر، أي طوال القرن التاسع عشر.

وتقرّ جميع المصادر بأن التجار الأرمن الذين استقروا في مدينة البصرة كانوا يسيطرون على معظم التجارة مع الهند، إذ تذكر تقارير وكالة الهند الشرقية البريطانية عام ١٧٢٩م أنهم كانوا وراء عمليات الاستيراد من البنغال، وهو ما تثبته سجلات (Manifests) السفن البريطانية العاملة على خطوط الهند وموانئ الخليج. كذلك فإن السفن المغادرة من البصرة إلى سَورَت (Surat) كانت تحمل إرساليات من اللؤلؤ لحساب تجار أرمن. وكانت البصرة حينذاك مركزًا رئيسيًا لتجارة اللؤلؤ حتى إن اللؤلؤ في الهند كان ينسب إليها فيقال باللغة الهندية «موتي بصرة» أي لؤلؤ بصري. ثم إن السجلات نفسها تشير إلى تردد التجار الأرمن على الهند طوال القرن، وكذلك إلى العلاقات مع التجار الأرمن في حلب بشمال سوريا. والجدير بالذكر أن خط القوافل الذي يربط أوروبا والهند وشرق آسيا عبر البحر الأبيض المتوسط كان يمرّ بحلب ثم البصرة، ومنها إلى الهند فالشرق الأقصى.

أيضا، كانت المشاركات العائلية بين طوائف التجار البصريين تضع التجار الأرمن خلال السنوات الممتدة طوال القرن في المرتبة الثانية، بإحدى عشرة مشاركة، مباشرة خلف المسلمين العرب (١٦ مشاركة)، متقدمين على التجار الفرس بالمرتبة الثالثة (٩ مشاركات). أما التجار اليهود فجاءوا في المرتبة الرابعة (٥ مشاركات). وكان التنافس التجاري الأشد

بين الأرمن واليهود.
ومعلوم أنه لا بد لطبقة التجار، من جميع الأطياف، من التمتّع بدعم الحكومات أو المؤسسات الضخمة لأسباب عرقية أو دينية أو طائفية. وفي هذا السياق نتوقف عند الروابط القوية التي قامت بين البريطانيين والأرمن. وكان يُعتقَد منذ القرن السابع عشر أن التجار الأرمن كانوا يشكلون عوائق أمام التجار الأوروبيين تمنعهم من التغلغل في الأسواق المحلية، فكانت منافستهم حادة إلى درجة العرقلة للتجار البريطانيين والهولنديين في مدن الإقليم وموانئها. ولغاية عام ١٧٢٤م كان الوكيل البريطاني في البصرة يشكو من مزاحمة الأرمن التي «تصل إلى حد الضرر وفي كل مناسبة».

إلا أن التنافس تحوّل إلى تعاون وتوافق، خاصّة بعدما فقد الأرمن دعم الصفويين ورعايتهم، وهكذا تحوّلوا لتعويض سندهم السابق بصداقة البريطانيين ورعايتهم وحمايتهم. وحقا، كان البريطانيون راغبين في لعب هذا الدور، وكانوا يبرّرون ذلك بأنه يستحيل وجود تجارة مُربحة لبلد ما من دون مساندة من التجار المحليين. كما أن من عوامل نجاح هذه العلاقة إجادة اللغة وتحديد أو تنظيم مهمة الوكيل وهذا ما توافر للبريطانيين مع الأرمن.

وفي المقابل، أثبت البريطانيون القدرة على تأمين الحماية المطلوبة بامتياز عندما سُجن تاجر أرمني عام ١٧٥٤م على أثر شرائه عبدًا مسلمًا، وتمكّن الوكيل من إطلاق سراحه، وكانت تلك أول محاولة أثبتت فعليًا مجال التعاون. وفي نهاية القرن أصبح كل التجار الأرمن محصّنين بالرعاية، بل والحماية، البريطانية وكأنهم جزء من الوكالة البريطانية.

أدى هذا الوضع الجديد إلى تفاقم الخلافات بين التجار الأرمن ومنافسيهم اليهود، والتي بلغت مداها عام ١٧٩١ م عندما عُثر على جثة تاجر يهودي مرمية قرب مكبّ للفضلات خارج حدود مدينة البصرة.

ويومذاك اتهم اليهود رجلا أرمنيا بجريمة القتل، وعلّلوها بالكراهية الدينية المزمنة بين المسيحيين واليهود، وتجمّع مئات من اليهود أمام مقر المتسلّم مطالبين بقصاص القاتل. وبالفعل، أمر المتسلّم باعتقال عدد من الأرمن، إلا أنه عندما تناهى النبأ إلى أسماع الوكيل البريطاني قابل المتسلّم وأعلمه بأن الأرمن تحت حماية بريطانيا. وبعدها تعقّدت الأمور وانتقلت الشكوى إلى سليمان باشا، الوالي العثماني في بغداد، الذي أخذ جانب اليهود. وكانت النتيجة انسحاب الوكالة البريطانية وإغلاقها أعمالها وانتقالها إلى الكويت، وكان ذلك يوم ٣٠ أبريل (نيسان) ١٧٩٣م، وبقيت في الكويت لمدة سنتين.

تجدر الإشارة هنا إلى أن الأرمن كانوا في تلك الفترة يشكلون غالبية المسيحيين في البصرة، غير أن نسبتهم تناقصت بفعل تزايد هجرات الكلدان (النساطرة الكاثوليك) خلال القرن التاسع عشر من بغداد وحلب، ثم هجرات الآثوريين (النساطرة الأرثوذكس) من محيط الموصل، للعمل أساسا على البواخر النهرية العاملة بين بغداد والبصرة، إضافة إلى السريان (اليعاقبة) الكاثوليك وبنسبة أقل السريان الأرثوذكس. ومجدّدا، ازدادت أعداد الأرمن بعد ما وصف بالمذابح الأرمنية بين ١٩١١ و١٩١٧م. واستقرّ اللاجئون الأرمن في مدنٍ من خيام أقامتها لهم السلطات البريطانية بعد احتلال البصرة في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٤، إلا أن اللاجئين نقلوا لاحقا إلى مساكن خاصة بهم في ما عُرف بـ«كامب أرمن» (معسكر الأرمن)، بقيت من دون تغيير حتى ستينات القرن العشرين. وكان الأرمن يشكلون قوة عاملة من الكتبة وذوي المهارات الحرفية العالية عملت في شؤون الموانئ وشركات النفط وغيرها.

ماكيت القاهرة.. نسيج مدينة الحلم



بقلم: أ/ أحمد محمد إنبيوه

طبقات المدينة الفائرة الساكنة، الثائرة العاجزة، القاتلة الضحية. طبقات الجموح والجنوح، الحلم والغضب، القول والصمت. مدينة الخيال والمحال. مدينة المدن القاهرة. عن المدينة الكابوس والفانتازيا المتداخلة مع الواقع بشكل مريب وغريب لسهولة هذا الاشتباك بين ما حفظته الذاكرة عن المدينة وبين ما حدث حقيقة. عن المدينة القاهرة أو ربما المقهورة، لكنها في البدء والمنتهى القاهرة ذات الطبقات، يكتب طارق إمام رواية "ماكيت القاهرة" المنشورة عام ٢٠٢١ عن منشورات المتوسط؛ هي رواية ملحها ومادتها الخام "المدينة" بذاتها في ثلاث طبقات زمنية ،تمثل ماض وواقع ومستقبل متخيل غير مفارق تماماً لكثير من معالم الآن.

ماذا يمكن أن يحدث حال هروبنا من المدينة إلى المدينة؟. من مدينة لم نخترها إلى مدينة ننحتها وفق هوانا، وإذا لم يكن هذا واقعًا، فليكن على الأقل خيالاً. مدينة جسدها مبني من عرق الحالمين بوجودها ومادتها الخام من تخيلاتهم الجامعة العابرة حدود الآن الثقيلة لبراح الحلم المنفلت من كل عقال أو إطار صامت. مدينة ربما اختارت وفق تخيل ما أن تحب هي أيضاً وربما قد تكره وتبغض بعضاً من أبنائها. مدينة لها مشاعر كأنما هي لبشري فائق الإنسانية رهيف الحس تام

ماكيت القاهرة - طارق إمام

الإدراك مكتمل الوعي. وبما أنها رواية المدينة المصنوعة والمنسوجة والمنحوتة. فيمكن تفكيك تلك العلاقة وفق طرائق جديدة.

يمكن قراءة الرواية وفك شفرتها على نحو أولي بوصفها نسيج لعلاقة معقدة تدور بين ثلاثة مصائر ومدينة، ثلاثة مصائر تتوسطهم وتجمعهم المدينة المنحوتة والمعاد إنشائها من خيال بعض بشرها. فهي رواية تُعيد قراءة وجود المدينة عبر ميكانيزمات الفانتازيا، وذلك عبر ثلاثة شخصيات وثلاث أزمنة. أو عبر الخيال

الممسوس بالمدينة التي مادتها وخامها التخييل المكتمل النضج. والمدينة هنا كما عمل عليها طارق إمام؛ هي تلك التي قُدت من أفكار لم تر النور بل رأتها القلوب والأرواح. فهذه ببساطة رواية عن المدينة، لا عن مدينة. المدينة التي تَملِك ولا تُملَك حتى وإن ظُن ذلك. المدينة الآسرة كجملة امتلكت قمة البلاغة في عالم لا يعرف حتى مجرد الأحرف. مدينة الصمت والثورة الشهوة والزهد. مدينة الذاكرة والمحو. المدينة التي كان ملحُها الحياة وطعمهما بعد الحلم كان المرارة. مدينة ولدت لتحيا بوجدان ولوجدان الأوفياء من أبنائها. مدينة رأتنا ولم نرها مرغمين حينًا ومختارين أحيانًا، مدينة عاشت ما دام لها ذكرى في أذهان من يحيا لها وبها وفيها. مدينة تأكل من أرواحنا أو تضيف لها وذلك على حسب كيف نحيا لها وفيها ومنها. المدينة القاتلة أو ربما القادرة. مدينة الحيوات التي تنتظر فهل يفرغ الانتظار وهل يتبقى الصمت؟.

وتبدأ الرواية بافتراض خيالي ،حيث تدور الأحداث في العام ٢٠٤٥ ؛أي بعد ربع قرن من الآن. حيث لا حياة أضحت تشبه الحياة في المدينة القاهرة لأبنائها، حيث لا فرار من قرار المدينة القاتل، أن تحيا داخلنا وتعيد تأسيس ذاتها كل يوم ،بل كل لحظة لتحيا ألفية كما كانت وكما ستظل. مدينة كانت للثورة مسرحًا وكانت من الثورة مادة روائية عبقرية. فأحد شخوص الرواية على سبيل المثال بليباردو " هو الذي رأى على أسفلت هذه الشوارع المظلمة كل ما يستحيل تصديقه، في مدينة الخرسانة التي تحولت رغم أنفها إلى مدينة معجزات". "انتهت ثورة تاركة مخلفاتها.. بدا ميدان التحرير مثل قاع سفينة غرق جميع ركابها، تاركين ثروة تخصّه وحده" إذن ف "ماكيت القاهرة" هو عن "جسد مدينة لم تُولد بعد". مدينة الخيال الطموح المقاوم الآسر، مدينة المراقبة والعقاب مدينة الصمت أو الثورة. مدينة المدن. أو لنقل أن "ماكيت القاهرة" يحاول أن يدور في مساحة الإجابة على التساؤل،أهو عن مدينة نامت ملء جفونها، وصحت على أزميل ناحتي وجودها الجدد، أم مدينة شاخت وانتهي أمرها؟. ربما هو عن قاهرة أخرى داخل الجاليري أو داخل عقل طارق إمام.

الرواية يمكن القول عنها، إنها احتشاد بصري وذهني من أجل بناء نسيج ثري للقاهرة؛ المدينة التي حكمت وتحكمت في تلابيب الوعي المديني العام في كامل الطبوغرافيا المصرية. من الأسئلة المركزية التي قد نرى نسيج الماكيت زاخراً بسرود قد تكون مادة الإجابة عليها؛ تلك العلاقة ما بين الواقعي والمتخيل؟ فأنى للواقعي أن يتحول لمتخيل أو المتخيل وتحركه باتجاه لواقعي. فالماكيت ليس مجرد نقل حرفي للمدينة بإطار مصغر بل ربما هو اختزال ذهني وبصري مكثف لمدينة هائلة كالقاهرة كما وجدت أو لم توجد يوماً في ذهنيات صانعيه، فهي مدينة اللذات والتفاصيل، مدينة الجمال النائم أو قل الجمال الآسر، التي لا يملك ناقلها إلى الماكيت نفسه من الوقع في تيه فتنتها كرهاً أو حباً.

وهنا نرى أن طارق إمام يبدو وكأنه يعيد تعريف علاقته بالقاهرة على هيئة تشظي سرد بصري هائل، سرد لا يحفل بسيرة واحدة أو متخيل محدد للمدينة الكبرى، وإنما علائق المدينة ببعض صانعي وجودها وناحتي مساحات وعيها. بل قل بعض من مؤسسيها الجد. حائزيها الأصلاء ملحها ومالكي إطار حالتها.

كانت المدينة التي نعرف في أزمنة ما قبل "ماكيت القاهرة"؛ هي تلك التي صمتت وتوقفت فيها كل خلايا الحيوية وودعت كل سيماء الصخب لصالح صمت سيعمر طويلا حدا أن يستعمر كامل فضائها

الطبوغرافي وكذا الوجداني "كانت جدران القاهرة، ومنذ فترة طويلة الشيء الذي يتغير فيها".

ذلك أن أهم اكتشافات "أوريجا" في علاقته بالمدينة "المدن خلقت لتبقى حتى لو كانت غير حقيقية بينما لم يخلق الإنسان نفسه إلا ليموت".

"المدن خلقت لتبقى حتى لو كانت غير حقيقية بينما لم يخلق الإنسان نفسه إلا ليموت".

أضف لذلك أن "الماكيت" سيبدو في زاوية ما أنه عن الزمن الشائه أو ربما الشائخ لنسخ متعاقبة متقاطعة للقاهرة. ومن تلك النسخ؛ القاهرة المقاومة للتغيير، كيف؟ لنقرأ إذن: " إنه العام ٢٠٤٥ وقد مر ربع قرن، لكن شيئًا لم يتغير، حتى الحاكم لم يتغير. كل ما حدث أن بنايات سقطت ونهضت غيرها، إن القاهرة فقدت تصميمها، وانسحبت خطوة للوراء لتصبح العاصمة الثانية، فيما بقي التاريخ مجرّد رقم يتبدّل على نتيجة الحائط ". إنه الوجه الأكثر مرارة من وجوه المدينة العتيدة المقاومة بغباء لصيرورات الحياة. في تلك النسخ المتقاطعة وربما المتناقضة من المدينة يتحول الخيالي إلى واقع أو الواقعي إلى مغرق في الخيال.

هي مدينة الذوات المتشظية وربما المصارعة. ومن ثم نرى أن طارق إمام أسس هيكله الروائي بشخوص قلبها وعقلها قُدّ من صراعات متشابكة مع الذات مع النفس مع الأفكار مع الثورة، مع الصمت ،ومع المدينة قبل وبعد وفي قلب كل ذلك.

الشخوص الرئيسية لعوالم الرواية، أوريجا، بليباردو، نود. وهم ليسوا فقط مجرد تقاطعات إنسانية لدوائر الأحداث في الرواية ،بل هم بالأساس مؤسسي المدينة الجدد، أو بالأحرى وجوه رئيسة في "ماكيت القاهرة".

تبدأ الرواية بشخصيات تبدو للوهلة الأولى ،وكأن لا رابط بينها، ثم ما تلبث الأحداث عن تبيان العلاقات الوثيقة بينهم فنصل في النهاية لإدراك أنهم أسرة واحدة بذكريات ممتدة متقاطعة فيما بينهم ويقع في المنتصف "ماكيت القاهرة" لا مجرد مساحة مكانية تربط الأحداث ببعضها، بل صانعاً لتلك الأحداث. "

يسهم أوريجا في تنفيذ ماكيت القاهرة ٢٠٢٠ ،الذي ينتج ساكنيه وبينهم نود، ونود تصور ماكيتاً أصغر داخل ماكيت أوريجا، هو ماكيت القاهرة ٢٠١١ الذي يمثل بليباردو أحد شخصياته. عبر الدوائر الثلاث المتداخلة، يُستبدل التعاقب الزمني الأصلي للحكاية بتداخل مكاني، يجعل الحكايات الثلاثة تتحقّق بالتوازي.. لتنهض قصّة أسرة واحدة في علاقتها بجاليري شغل كايرو عبر ثلاثة أزمنة ".

نرى على امتداد شطآن الرواية أن كل من شخوص الرواية الأساسية تشعر في داخلها بأنها مسؤوله عن المدينة على نحو ما. وكل منهم يشعر أنه المدينة من ناحية أخرى، أو المدينة وجدت لتجعل منه ضحية مجهضة الأحلام والأماني. وفوق وبل أمام تلك الشخصيات تأتي المسز: " هذه المرأة لم تكن مجرّد إنسان، إنها سلطة، سُلطة نهائية وتامّة، لا سبيل للنظر في عينيها، ولا يمثّل جسدها، صغر أم كبر، سوى غلاف رقيق وهشّ لتوحشها العميق القادر على ابتلا ع العالم في قدرته على الخلق والبناء والتدمير والمحو بلاتنم". وفي زاوية أخرى فإن المسز " كالمدينة، هي الجميع، لكنها، وبالقوة نفسها، لا أحد .. ولا فارق جوهري بين أن يكون الشخص بألف وجه، وأن يكون بلا وجه على الإطلاق ".

وعندما يتحول المرء إلى ابنٍ بارٍ لسياقه المكاني وفيًا لتقاليد طوبوغرافيته المحلية، يغدو هذا الانتماء في مرحلة ما ولدي البعض إلى ارتباط مرضي نوعاً ما.

كيف هذا؟ .

لنرى بليياردو ونكتشف هذه العلاقة المركبة بالمكان ، وليكن وسط البلد على سبيل المثال:" نطاق مهنته كان محيط وسط البلد، حيث ولد ويقطن ويتحرك، فلم يعرف بليياردو مدينة خارج هذا المربع الذي يحيا بين جدرانه كبيت. لم يغادر أبداً الحدود الصارمة لوطنه الخاص. وكان إذا لمح قدمه قدمه تتجاوز الخط الوهمي لأحد هذه الحدود، يتراجع على الفور، كأنه لامس أرضًا غريبة". هذه علاقة فريدة بالمكان تبدو كأنها حالة فريدة من الهيام بالمكان حد الاستغراق، كأنه وطن لا مجرد إيقاع جغرافي اعتيادي في الفضاء العام، وتبدو أيضاً وكأنها علاقة مرضية لا تسمح لصاحبها بنسج علاقات ارتباط جديدة بنكهات مكانية جديدة.أرضًا غريبة". هذه علاقة فريدة بالمكان تبدو كأنها حالة فريدة من الهيام بالمكان حد الاستغراق، كأنه وطن لا مجرد إيقاع جغرافي اعتيادي في الفضاء العام، وتبدو أيضاً وكأنها علاقة مرضية لا تسمح لصاحبها بنسج علاقات ارتباط جديدة بنكهات مكانية جديدة. المكان هنا تجاوز مساحة الارتباط العادية ليغدو زمن منسوج ببراعة في التفاصيل الدقيقة لحاله وخياله.

هذه هو جوهر العلاقة المتوترة بالمدينة؛ الخوف من الضياع أو الذوبان في فضاءات المدينة الكبرى التي قد تبتلعنا أو تنهي وجودنا المستقل على أقل تقدير.

أوريجا: " نغَّصتْهُ فكرة أنه حتَّى في مدينة بحجم غرفة، حتَّى في مدينة ليست مدينة بعد، حتى في مدينة ستصنعها يداه، يمكن أن يضيع". المدينة رمز للفناء أو الصمت الهائل القاضي بالوصول إلى بر الفناء.

ووصلاً بالثورة التي استحالت هي وذكراها لكابوس ثقيل، نرى أن الوجوه أو الطبقات الزمنية الثلاث للماكيت تبدأ بالحلم وتنتهي بالكابوس، ثم ما تلبث تخلط الحلم بالكابوس في رؤي تكاد تكون تنحت من لاوعي وجوه المدينة البشرية وعي موازٍ للمدينة ذاتها ممثلة في الماكيت نفسه " ماكيت القاهرة مشروع فنّي استعادي طموح.. يهدف لتشييد ماكيت مصغّر للمدينة، بنسبة محدّدة، هي ٣٥:١، بإتمامه ستكون لدينا نسخة كاملة طبق الأصل من القاهرة ٢٠١١. والجاليري يشيد ماكيت القاهرة كمشروع دائم، ما أن تنتهي نسخة منه حتى تبدأ أخرى، بهدف توثيق المدينة في لحظات تاريخية محددة ودالة ". الماكيت بنحو بالغ العمق مشروع استعادي : " فوظيفة هذا الماكيت هي تجسيد الماضي، كما لو كان حاضراً. عملًا بالمقولة الصورة حاضر دائم.. والحاضر هو كل ما ليس بوسعنا تجاوزه، أياً كان زمنه. كل فَقْدٍ هو حاضر. ما يجعل الحاضر الوحيد، بالنسبة إلى أناسٍ كثيرين، هو ماضيهم نفسه ".

فهو أي؛ "ماكيت القاهرة" بصيغة من الصيغ، محاولة بالفانتازيا لاستحضار روح المدينة العصية على الصمت، بل المدينة المفارقة للصمت. ففي موضع ما تُذكر المدينة على أنها ذلك الكائن المقاوم للفناء والمستمسكة بالديمومة. " فلا أحد في عالمنا يضمن نجاته سوى المدينة ". إنها الناجي الأول والأخير. فهي ليست مجرد الحجر الأصم والمعالم القديمة. إنها الروح الأزل والأبقى. "الماكيت" هنا لن يكون إذن مجرد محاولة يائسة لمقاومة الفناء أو إعادة بناء المنتهي والزائل، بل هو محاولة فنية باهرة لنحت نسخ أخرى أكثر جموحًا وممسوسة بالحلم من القائم والمستمر من موتيفات المدينة الكبيرة. إنها محاولة لنحت اللحم الحي للمدينة في مجسم صغير يحتفظ بها وبصورها ووجوهها لأجيال سترى فيها ما لم نستطع أن نراه نحن في زمننا الحالي- أياً كان ذلك الزمن.

في نسخ المدينة يبدو بعضُنا كأنه ابنٌ أصيلٌ لحياة الاغتراب. أو ربما جملة اعتراضية حذفها لن يخلَ بالمعنى، لكن أيضًا وجودها يؤدي لتمام المعنى. " هذا البيت بدوره جملة اعتراضية ما، تقطع جملة أطول هي الشارع . وهو بدوره جملة اعتراضية في مقطع أكبر هو الحيّ — الذي بدوه جملة اعتراضية في صفحة أكبر، هي المدينة – التي بدورها جملة اعتراضية في كتاب اسمه العالم — فما الخلل لو حذفت هذه الجملة الاعتراضية؟ ولو أن حذفها لن يُغير شيئاً، فلماذا وُجدّت؟ ما حاجه اللغة لها؟ وما حاجة الحياة من ثمّ؟ ".

وقد تتمثل المدينة في كتاب واحد " رواية؟ سيرة ذاتية؟ كتاب في معمار المدن أم في إخفاقات الحب؟ كان كتاب منسي عجرم يبدو كما لو كان صالحًا، ليكون الكُتب جميعها، وهو ما يجعله للسبب نفسه، لا شيء ". وسيظل كتاب المدينة الكتاب الذي يكاد يحوي المدينة بين دفتيه المنسوب إلى "منسي عجرم" كتاب غير منتهي غير محدود بلغة غير معنون بلا فهرس عصي على الإتيان إلى شطآنه أو حوافه النهائية.غير منتهي غير محدود بلغة غير معنون بلا فهرس عصي على الإتيان إلى شطآنه أو حوافه النهائية. كتاب مفتوح دومًا على الإضافة، لكن من قبل من؟ أمن قبل الجميع. أتقبل المدينة أن تكون كتاباً مفتوحاً للجميع أم أن هذا لا يحدث. فهي تمنح نسيج أسرارها لقلة أو مجموعة من المختارين. كتاب المدينة " الذي رفض أن ينتهي، كأنه مقابل كل صفحة منقضية كان يضيف لنفسه صفحة لم تقرأ ". كتاب المدينة قول:" الأمكنة تخلق قاطنيها، إن نشأت نسخة جديدة من بيت، ستنشأ نسخة جديدة من ساكن ". و "بدون هذا الكتاب تتبعثر جميع الأوراق ".

وإن ما يمكن أن يُقال إن " أجمل ما في كتاب منسي عجرم أنه يمثّل من قرءوه جميعهم مهما كان اختلافهم. يمكن لأيّ قارئ له أن يجد فيه نفسه، بالمعنى الحرفي للكلمة، وكأنه نزل خصيصًا من أجله وحده، فلكلّ قارئ كتابه، بالمعنى الحرفي أيضاً، الذي وكأنه كتب بلسانه هو، ومن هنا تنبع عبقريته. دعك ممن يقولون إنه مرتبطٌ بزمنه أو بمكانه أو بلغته، جميعهم يقولون ذلك فيما يقرءونه سرًا في غرفهم المغلقة ويبكون.. وكل مرة ستقرأ الكتاب ستكتشف أنك تقرأ كتابًا آحر، لا يزال رغم ذلك يخصك وحدك، ذلك أن لا أحدَ يملك حياة واحدة، وإن الحياة الواحدة حتى لو تسنّى لها أن تتكرّر، فلن تُعاش أبدًا مرتين بالطريقة نفسها حتّى لو كتبها صاحبها نفسه... لابد من بعض الفروق مهما بدت النسختان متطابقتين ". هذا كتابٌ ببساطة من زاوية أخرى " لا يخضع سوى لإرادته الداخلية ".

هو الكتاب المدينة أو المدينة الكتاب، التي تتحدث، وتعبِّر عن الجميع وتملك القدرة على امتصاص وجدان الجميع وملامسة أحلام الجميع.

الكتاب الصَّاخب في لغته وقدرته على البيان في مخاطبة كل قارئيه. كتاب منسي عجرم كتاب عن عمران المدينة أو الحياة في قلب وجودها لا على حوافها.

حياة مادتها المرارة والحلم والصمت والبوح والحياة والموت كما هو كتاب المتناقضات فهو كتاب القصاصات التي لا يمكن أن تجتمع إلا في نسيج من الفانتازيا، لكنها اجتمعت في كتاب منسي عجرم. كتاب الكتب لمدينة المدن لبشر اللا بشر لحيوات مجزئه على طول الزمن وطوال الصفحات التي لم تكتب بعد. والمدينة ثورة وكتاب المدينة تأريخ للثورة والحلم والأمل والفشل والنجاح معاً.

ففي قاهرة ٢٠١١ كانت رائحة الثورة هي ما يملك الفضاء العام وهي كما تقول نود وهي واحدة من ناحتي وجوه المدينة ونسخها الثلاث: " هواءٌ خانقٌ

تمنّت نود لو أنها ظلّت تتنفّسه". هي إذن محاولة ذات شجون لاستخدام اللغة كأداة استعادية لإعادة بناء المدينة من جديد مدينة الثورة والصمت، مدينة البهجة الكاسحة والحزن المقيم مدينة العزة والاحساس الهائل بالذات الجمعية في مقابل مدينة الانسحاق الكامل والصمت المريب. اللغة والورق هما عماد المدينة من زاوية ما. ولنرى ما يقوله بلياردو؛ ناحت أحر للمدينة: " في الثورة المنقضية، اندفعت ملايين الأوراق مغادرة النوافذ المهشّمة لمقارّ أمن الدولة، كأنها هي من خطّمت النوافذ. كل حرف كتب في المدينة كانت ثمة نسخة منه هناك، بما في ذلك خطابات غرامية بخط اليد، لا تعني سوى شخصين، ويوميات لا تهم أكثر من شخص واحد، لكنها حتّى لم تكن نسخاً، كانت أصولاً ". هي ببساطة كانت معادلة الثورة واللغة في باحات وساحات المدينة المزدانة بالكلمات النقي منها أو الدنس. لكن أكانت الكلمات هي من صاغت طعم الثورة في مدينة ٢٠١١؟.

ومن جديد؛ "ماكيت القاهرة"، أليس يعتبر مدينة بلا أعماق؟ أيعتبر وطنًا زائفًا، أوليست كل الأوطان بمعنى ما زائفة.والفارق الوحيد أنها تملك من يقطنها، فما أن يصبح مكان ما مأهولًا، حتى يقنع قاطنيه أنه مهدّد، وفقط عندما يبدءون بالقتل من أجله، يصبح حقيقياً ". القتل هو ما يجعل الأوطان حقيقة بدرجة ما. ذلك أن أي مدينة لم تتعرض للمحو لم توجد ". فالمدينة تأخذ كثير من مدلولات وجودها من المحاولات التي تهدد وجودها أو ربما تسعى لفنائها. نجد في لحظة ما أن مدينة الماكيت لا تبحث عن الحياة أو الديمومة، بل تبحث وبجدية عن الفناء أو ربما الإفناء.

لنستمر في تتبع التوصيفات التي نثرها طارق إمام للماكيت على شطآن الراوية. لنقرأ هذا: " ربما يُدهِش ذلك الماكيت أشخاصاً يُحبُّون أن يروا قمّة بنايات مدينتهم قزمة وعاجزة تحت أقدامهم كلُعَب، ويَصحبون أطفالهم معهم أيَّام العرض، كأن المدينة ملهى. إنه مدينه جديدة تكافح كي تُوهِم بالقِدَم، كي تزوّر العراقة، على عكس المدينة الشائخة التي تضع المساحيق، كي تمنح احتضارها وجه طفلة.. هذه ليست مدينة خطرة، مجرد محاكاة، تخليد للمدينة الحقيقية دون أظافر، دون تهديد، مثل حيوان مفترس ينقضُّ على فريسته في لوحة.. إنها في نهاية الأمر خدعة عاصمة مترامية، لا شيء يوحي بزيفها، شيدها حفنة أشخاص، هاربون أو مطاردون أو يتامى، لا مكان لهم في أبنية السلطة المحصَّنة أو حتى بلاتوهات السينما العملاقة، أو أيّ من تلك الأمكنة التي لطالما منحت القاهرة واقعها وخيالها، لتغذّى بريقها وقسوتها معاً ".

الصامت القاتل الذي لا يرى إلا في ضوء ذاته، ابن المدينة الثائرة الرافضة الانصياع للحال والاستسلام، صانع الزيف من مادة الحقيقة نفسها" فالأشياء الأشد زيفًا هي التي تصنع من مادة الحقيقة نفسها".

الكتابة عن الماكيت نوع من استحضار المدينة في منحوتات بلاغية تجسد روحها ووجدانها ووعيها في طبقاتها الزمنية الفارقة. والكتابة عن مدينة الفرح والألم تبدو في الحقيقة كأنها أقسى أنواع الكتابة أو كأنها إعادة نشر الذوات الجمعية على سن ريشة سن ريشة قلم كاتب تداخل قلمه مع وجدانه المثقل والمثخن بالجراح عن مدينته الأثيرة والحبيبة التي انتهكها الزمن أو أشياء أخرى. ذلك أن الكتابة عن مدن الخيال أو الكتابة بمفتاح الخيال عن مدن لا نحياها فقط في الواقع بل أيضًا تحيا فينا بنسيج الفانتازيا أو قل بريشة الخيال، هي أقسى وأثقل أنواع الكتابة؛ فهي التي تستنزف الروح بكل بساطة وتأكل حيوتها لتذهب بها إلى الأحرف والكلمات. ولهذا الخيال ذاته نسخته من

مدينة، لا ترى من يراها؟". أهي المدينة الخائفة؟ أم تلك التي تجعلنا نحيا في خوف مقيم كأنه الكابوس المزعج الذي لا فكاك منه؟. الفرار من المدينة لا يتحول إلى قرار في بعض الأحيان بل يضحي من موجبات العيش في المدينة على حافة الأمان، العيش على العتبات انتظارًا للحظة قد تظلم، وقد تكون هي بداية ظلم مقيم لا فكاك منه. هو الخوف إذن. لكن هل من يثون الخوف في دواخلنا محصنين ضد الخوف: " إنهم هاربون أيضاً، هاربون وخائفون حتى وهم يلاحقونه، يكفي قطيع كلاب، كي يجعل منهم، مثله، مطاردون. يعرف هذا النمط من الركض، يعرف أولئك المرتعدون، رغم المسدّسات التي تتدلّى من جراباتهم وعِصي التعذيب في أيديهم وأقبية الزنازين التي تتدلّى مفاتيحها مع مفاتيح بيوتهم من ميدالية واحدة ".

إنهم شعب الخوف داخل المدينة الذي لا يحمل بالضرورة على أرضه وداخل حدوده الضعفاء بل المتنفذين وأصحاب ،بل والسلطة ذاتها فما الخوف الصغير إلا من الخوف الكبير. خوف السلطة بالأساس من مجموع مواطنيها البسطاء الصامتين هم منبع خوفها الكبير. وما كانت قاهرة ٢٠١١ إلا انهيارًا في جدار الخوف الصغير الكبير.

نرى أوريجا محاولاً الإتيان على ملامح المدينة الماكيت، والمشروع الراغب في اختزال فانتازيا هذه المدينة وحفظ وجدانها المرتبك: " إن ماكيت القاهرة هو في نهاية المطاف وعلى تعدُّد صانعيه جسد فني واحد، يعوزه قَدْر من تكامل العمل الجماعي ليتحقَّق كجدارية منسجمة على الأرض.

الثقل والمرارة ف " أقسى ما في المتخيل أنه يمنح كل شخص نسخته من الواقع، مثل ماكينة هائلة، تصنع مفاتيح مختلفة. تفتح جميعها باباً واحداً. هل أن ندخل جميعاً البيت نفسه، كل بمفتاح مختلف؟ إن هذا يعني ببساطة أن لا وجود للباب".

هي مدينة تسبح في ماء الثورة النقي والعاتي، مدينة كانت الثورة في الخلفية دومًا لكل جميل وقبيح مر بها منذ العام ٢٠١١ الفاصل في زمن المحروسة الطويل، بقايا الزمن الثوري التصقت بالمدينة كندوب فرح أو بقايا معركة هزم كل المشاركين فيها، مدينة غادرتها الثورة ولكنها في المقابل لم تغادر من عاش زمن تلك الثورة. إذن فتبدو الرواية من زاوية ما وكأنها كما قالت نود: " شرائط تسجيلية، تختلس حكايات خاصّة من المدينة في الخفاء، تلك الحكايات التي يعرفها الجميع ولا يتحدث عنها أحد".

والمدينة هنا ذلك الكائن الخرافي الذي يريد أن يبقى طويلاً ويستعمر ويعمر خلايا التذكر ويكون عوالم ذكرى خاصة به ربما ممثلة في فراغ بصري مملوء بسرد فوتوغرافي. وذلك رغم أنف أكبر الرافدين ولكن من هم أولئك الرافدين؟. :" غريبون رجال الشرطة يرتعدون لتصوير المدينة، كأنها ستنتقل إلى الصور لحظة التقاطها لتختفي من الواقع، وينظرون بغضب لحوائطها الملوثة بأيدي أولئك الأطفال بأيدي أولئك الأطفال الذين يقطنونها، في اللحظة نفسها التي ينزلون فيها سراويلهم للتبول على تلك الحوائط.. إنها مدينتهم، مدينتهم همُ، غرفة نومهم، التي لا يحقُّ لأحد الاقتراب منها أو تصويرها أو تلويث حوائطها ". المدينة التي تنمو على مهل في وعي مترع بالخوف والجزع..

متى تحولت القاهرة إلى المدينة المسخ؟. هل كان ذلك بفعل طبقات الزمن أم بفعل كثير من بشرها " لماذا يقول الكثيرون إن القاهرة تحوّلت إلى مسخ استنادًا إلى ما طرأ

عليها، ولا يستخدمون التوصيف نفسه بالنظر إلى ما فقدته؟". إن مزج الواقع بالخيال هو أكثر ما يرعب الجميع ". وعن أي مدينة كنا وسنظل نتحدث، إنها المدينة التي تُصاب بالفزع لرؤية شخص ما يمارس عادته السرية في شوارعها أي مدينة تلك. ليوناردو يقول:" لم يفهم أبدًا الخطر الذي يمثّله على المدينة. إنه أضعف من أيّ شخص فيها، لا يملك مسدّسات الشرطة وهراواتها، لا أسلحة الجيش ولا مطاوي البلطجية ولا منابر المشايخ. مجرّد شخص هشّ البنيان، وبعين واحدة. أيُّ رعدة أن تجتاح جسد مدينة كالقاهرة لمرأى شخص مثله، يقذف مَنِيّهُ على زجاج الفاترينات، ويفرغ بوله أسفل الحوائط؟". أي مدينة تلك التي هي أضعف من أن تحتمل كائن كذلك الكائن الهش. إنها مدينة الأقوياء التي لا ترى الضعف ولا الضعفاء ولا تحترمهم، ولا تعتبرهم حتى بشراً من لحم ودم؛ إنهم بالنسبة إليها لا يعدون مجرد أشياء.

الكل في واحد أو الواحد من أجل الكل. هل المدينة مجموع ذواتنا المتشظية والمنثورة على رقعه متسعة، أم أنها ذات واحد انقسمت لذوات أصغر. من يملك تصور المدينة هل هم أولئك الناحتون لوجودها المعنوي أم هم المكافحون في سبيل وجودها كباحة للعمل والبهجة والسعي.

ربما ما يجعل علاقتنا بالمدينة على مستوى من التعقيد لا يحتمل على المدى الطويل؛ أن تلك العلاقة قد تكون عبارة عن حالة هروب مستمر لا منها فقط، بل من ثقل بعض بشرها وغبائهم وسلطويتهم القارحة: " كان بليباردو يفكر كلما نجح في الفرار،كلما نجح في الفرار، أن أسوأ ما في النجاة أنها تفقد المرء كبرياءه مرَّة بعد مرَّة، كان يسأل نفسه: أيُّ نجاة وهمية يمثلها الهرب؟، وفي الوقت نفسه، أيُّ شجاعةٍ زائفة، تنطوي عليها مواجهة مع وجدانها المرتبك: " إن ماكيت القاهرة هو في نهاية المطاف وعلى تعدُّد صانعيه جسد فني واحد، يعوزه قَدْر من تكامل العمل الجماعي ليتحقَّق كجدارية منسجمة على الأرض. لكن، يبدو أن مفردات كالانسجام والاتّساق لم يكن لها وجود في معجم المسز، التي تملك وحدها التصوُّر الكُلّي، بينما لا يعرف أحد من العاملين شيئاً أبعد من التفصيلة التي جاء من أجلها". فهل كان "الماكيت" يحتاج إلى الانسجام حتى يغدو على درجة من الكمال؟. ربما لا يحتاج الماكيت والمدينة من ورائه إلى أن يكون كاملًا فكل شيء إذا ما وصل للاكتمال نقص. والمدينة جمالها في كونها تضم في موتيفاتها تفاصيل من هنا وهناك: تفاصيل تركها البشر والحجر، لتثبت أن النقص ليس انتقاصًا بل عتبة في طريق لا ينتهي نحو الكمال.

وإذن، وليس أكثر تعبيرًا من الانتهاء بالتجول في باحات "ماكيت القاهرة" من استعارة إحدي جملها ذات الدلالة. " الخلاء الكامل والصامت لمدينة تتنزّه فيها الريح.. لقد اختفت القاهرة ". هي دومًا وأبدًا المدينة التي تعيد تجديد ذاتها عبر ذوات جديدة وأجيال متتالية لها ذكرياتها الخاصة عن المدينة. هي كانت ،وستظل المدينة المنحوته من لاوعي بعضٍ من عاشوا في أزمنتها وعايشوا أزماتها. المدينة المديدة الممتدة في ماكيت مفارقة لواقع أضحى بذاته تمثيلًا لشيء آخر. "ماكيت القاهرة" أو العلاقة ما بين الحلم بالمدينة وبشرها في آن. هي في ذات السياق تغدو لوهلة "مدينة الخلاء"، مكتظة بالشر خالية من بشر لديهم طاقة للحلم بها ولها. "ماكيت القاهرة"، كان اختزالاً لخلاء النفوس وفشل الذاكرة وقسوتها في آن، وذلك في سرد آسر بكل بساطة. هي رواية تستحق القراءة بعد القراءة.



روبين سيڤاك طبيب الأدباء وأديب الأطباء

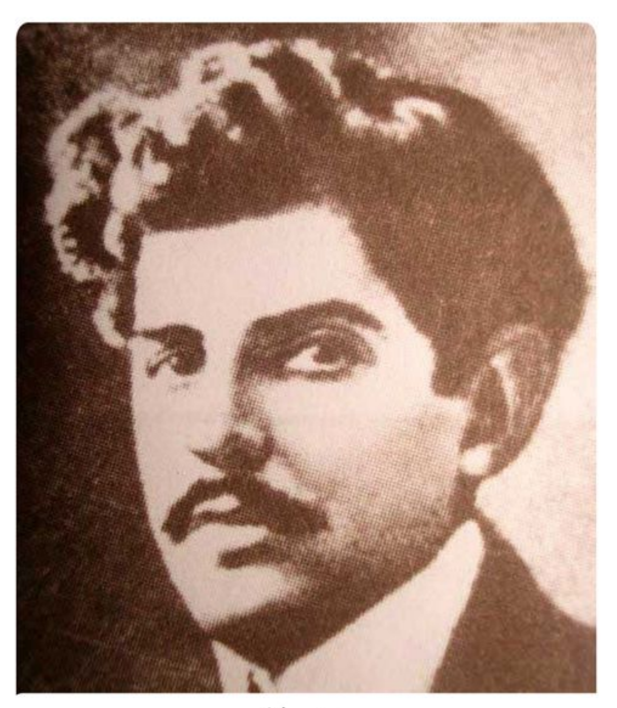
بقلم: عطا درغام

كان من أعظم الشعراء الأرمن في أوائل القرن العشرين ، الذين عانوا بعمق من الكابوس الذي خلقته الديكتاتورية في حياة الأرمن ، وتمردوا بأغاني الحزن والمعاناة والأمل والإيمان.

اسمه الحقيقي (روبن تشيلنكريان) ،وُلد في الخامس عشر من فبراير عام ١٨٨٥ في قرية "سيليڤري" قرب القسطنطينية ،و درس في مدرسة " أسكانازيان" الابتدائية في مسقط رأسه ، وفي المدرسة الداخلية الأمريكية في "بارتيزاك" ،ثم انتقل إلى مدرسة "بربريان" الشهيرة في القسطنطينية في عام ١٩٠٥،بعد تخرجه بمرتبة الشرف ، ثم غادر إلى سويسرا التحق بكلية الطب في لوزان بسويسرا.وفي عام ١٩١١ ، بدأ روبن سيڤاك حياته المهنية كطبيب مساعد في لوزان.

خلال سنوات دراسته ، ولدت قصائده باللغة الأرمنية في بيئة لغة أجنبية ، أرسلها إلى الصحافة الأرمينية ، وفي القسطنطينية ، كان سيڤاك شاعرًا معروفًا بالفعل.

وفي عام ١٩٠٥ ، نشرت مجلة (ماسيس) أول قصيدة له "كلمات الطلاق" ،وفي عام ١٩٠٧ ،أول أعماله النثرية قصة "نهاية العام" ، وفي عام ١٩١٠ ، مجموعة "الكتاب الأحمر"،والتي تحتوي على ثلاث قصائد غنائية تحتوي علي "جنون المذبحة (مناجاة المسرح)"، "المرأة التركية (ترنيمة الريف)" ، "مختارات" وتقع في ثلاثة أقسام: ("الولادة في الكنيسة الريفية" ،و"الحياة على الطريق الريفي" ، و"الموت في مقبرة ريفية ").



روبين سيڤاك

يتحدث في قصيدة "الإنسانية" عن الوجود البشري من خلال التحليق الخيالي للكلمة الشعرية ، ويرى أن الحياة لا تنفصل عن الموت ؛ وبدايتها ، بالطبع ، نهايتها هي حاملة الخلود. كرر أولاً بسخرية مريرة السؤال الغريب عن سبب خلق العالم بهذه الطريقة ، يبدأ عدم المساواة بالفعل في كنيسة القرية مع طفلين. واحد من حفل ختم الأغنياء ، والآخر من حفل ختم الفقراء.

راكعٌ يَرتَجِفُ ، عَينْي فِي يَدِي ، أَودُّ أنْ أَكبَحَ روحِي تَحْتَ صَدْرِي

والروحُ ، كإملاء من الإثارةِ ، يُمْكنُها لِلَحْظةٍ أَنْ تَظهَرَ لَهُ صُورًا بَصرِيةً – "مَشْنَقَةٌ من رِجالٍ عُظَماء لَا يَرْحَمُونْ" فِي نِيران ثوريةٍ:

وتأتي قصيدة "العلم الأحمر" صورة حقيقية للواقع ،وعبر فيها بانطباع صادق عن مظاهرة قوية للجماهير العاملة في أوروبا. في البداية بدا الشاعر ميؤوسًا منه ، "العدالة التي ما كان يجب أن تأتي أبدًا" ، لكن القصيدة تنتهي بقناعة مختلفة ،

مؤكدة عَلى هذا النوع من النضال:

لكنَّهمْ ذهبُوا مسّلحِين للقِتالِ

مِنْ أجلِ العَدالةِ ، ضُعَفاءٌ ، ضُعفاءٌ ،

مِنْ أجْلِ العَدالَةِ التِي سَتأتِي عَلى هَذا النَّحو!

وفي قصيدة "هذا السكين" التي كتبها عام ١٩٠٩ ، يُشير الشاعر ، الذي يصور عاملًا فقيرًا غير قادر على قطع خبزه بـ "سكين" ، إلى تلك السكين ذاتها التي يمكن أن "تبني قانون المستقبل على الدم":

لكنَّهُ يَنْتَظِرُ أنْ يَأتِي السَّلامُ ،

تَعالوا بِالحقِ ، سنةً بَعد سَنةٍ ،

حُلمِ الإنْسَانيةِ المحرمةِ جَيدٌ ...

وغالبًا ما تُرى صورة البطل المنتقم في أعمال سيڤاك ، ولكن في جميع الحالات ، في إطار الفكرة الرومانسية، بمعنى ما تناقض مع تلك البيئة ، التي تحمل سمات الفرد الاستثنائي.
وعبّر سيڤاك عن فكرة الظلم الاجتماعي والاحتجاج والتمرد بقوة فنية كبيرة كما في قصائد "الصلاة من أجل المال" (١٩٠٧)،و"العلم الأحمر" (١٩٠٩)،و"هذا السكين" (١٩٠٩)،و"الشارع الكناس"(١٩١١).وهذه القصائد من بين أفضل الأعمال الأصلية المكتوبة حول هذا الموضوع في الشعر الأرمني.
ويستكشف سيڤاك جراح المجتمع المادي في قصيدة (التروبادور) عام ١٩١٠ ، وكذا التناقض بين مأساة المثالية والحياة الواقعية ،والاعتزاز بـ "الحلم الجيد لإنسانية محرومة" بعالم حر وعادل،وتأثر فيها بـ"بروفانس"شاعر القرون الوسطى ،وتذمره في القصيدة الرائعة "التروبادور" يصل فيها إلى تعميم عميق،ويشعر بفقدان الملامح الإنسانية الجميلة والسامية مع الألم والقلق:

مَا القِرون التِي بلغناها يا اللهُ؟

الذَّهبُ هُو الصَّوْتُ الخَبِيثُ فِي كُل مَكَانٍ ...

... – الخَوفُ ، الفضةُ شَنَقها الفنُ ...

وله قصائده الجميلة عن الطبيعة ، وأسرار الحياة ، وأسرار الحياة والموت ،كما في: ("روحي"،و"الرجل الوحيد" ،و"غو"،و"ليمان" ،و "البجع"،و"الأخير") ، و"الملك" ،و"الرجل الذي يمشي" ،و"جاء الليل أسفل" إلخ).
واستطاع أن يعَّبر عن ألم الانفصال وحزن الفقد ،و فكرة فهم الحب كما في: ("أغنية الإنشاد" ، ١٩٠٨ ، و"خمر مع الحب" ، ١٩٠٨ ،و "تعال" ، ١٩١١ ،و "لماذا؟ " ، ١٩١١ ،و "نشيد الحب الموت ، ١٩١٢،و"الحب"،و"الخطيئة الأولى" و، "الجرس" ،و "الحب ، الحب ..." ،و "لا بد لي من الانتظار ...").
وبطل أغاني الحب عنده هو شاب ثري روحيًا ، يحب ويعاني ، سعيد وغير سعيد ، حزين ومبهج ، تقي وحلم في نفس الوقت .لذلك الحلم ، للوصول والاستيعاب. بالنسبة للشاعر الحب مرادف للحياة:

الحُبُ وَثَنِيةُ السَّعَادةِ المِصّلُوبةِ !

الحُبُ هُو المعْبُودُ الَّذي يَرْكَعُ أمَامهُ

اللهُ نَفْسُه سَيَبْكِي مِثْلَ اليَتِيمِ ...

وفي "صفحات ممزقة من كتاب طبيب" (١٩١٣) ، قدم المؤلف بألوان زاهية وحيوية الصورة الأخلاقية للمجتمع ، وهو حزن الشخص ومرضه الشخصي ، ويحتوي الكتاب على أحاديث طبية تهدف إلى تحقيق أهداف صحية وتعليمية. الانطباعات المكتسبة في الممارسة الطبية "سر العروس" ،و "بدلاً من الزفاف" ، "ثمرة الخطيئة" ،و "الارتباك الرهيب" ، و"الانحراف".

و في كتاب "الحاسة السادسة" ، يخبر سيڤاك عن أمراض مختلفة ، ويحذر القارئ من الابتعاد عن الاختلاف

موقفه من مذابح أضنة

ظلت أنباء مجازر ڤيليقية تثير روح الشاعر ،وتولد الألم والغضب والانتقام والتمرد، فكتب سلسلة "الأغاني القيليقية "التي صدرت بين عام ١٩٠٩-١٩١٠،منشورة في الصحافة الأرمنية في إسطنبول،ويلجأ فيها إلى وطنه بألم مرير وبؤس إنسان معذب فيعبر قائلًا:

مَنْ أَنْتَ يَا مِنْ بَلَدٍ غَيْرِ سَعِيدٍ
فِي زَيْفِ الدَّمِ الحَارِ ،
التَّضحِيةُ لِلعْبةِ المتَوَحِشّيْن ،
واللهبُ الذي لَا يَطفأُ ،
أَنْتَ تُدَخِنُ ، بَلَدُكَ الأَصْلِي غَيرٌ سَعِيْدٍ ...

ولم يستطع فعل أي شيء ، كان بإمكانه فقط الصراخ من الألم ، والصراخ ، ودق أجراس الإنذار للروح ، وطلب أخبار العالم ، وطلب من الأجراس الصامتة في القباب العالية للكنائس ، "أعطي الأرمن قبلة ، لأن الأمة ماتت "

" اهتزوا بأذرع من حديد ".
رُوْحِي مَعَ ألفِ أجراسٍ صمّاء
أَصْرِخُ ، اتصل وأصرخُ
ارمِ عَرْشَّكَ الحَدِيْدِي ،
مِنْ أَيْنَ عَرفتِ البُكَاءَ إلَّا لِقُرُونٍ . . .

في أغاني قيليقية "كزرع في أكواخ مظلمة" ، يبث الشاعر أغنية انتقام وتمرد ، معتقدًا أن هذه القصائد في لقبه "تلد رسلًا وعمالقة" ، حيث تحمل الأم الأرمنية المعذبة الطفل معها ، أغنيتها المهد ليست رسالة.

وفيها صورة لشاعر وطني ، استطاع أن يعطي حتى في قصيدة "أرمينيا" ستة أسطر فقط – تحفة صغيرة حقًا ، ثلاث صور

– تعميم شامل:

مَنْ يَبتلع عَتبة بَابِي هَكذا؟
أُخْتِي ، إنَّهَا فَوْضَى ، مَفْتُوحةٌ!
يَمُرُ الهَيْكلُ العَظمِيُ مِنْ اللونِ الأَزْرَق.
هُنَاكَ جُوعٌ ، افْتَحْ البَابَ!
يَتِمُ سَحْقُ المِقْلَاةِ عَلى الصَّندوق. انْتَهَى ،
البَابُ مَفْتُوحٌ!

حب الشاعر للمضطهدين ،و الطبقة العاملة ، دائمًا لا يمكن التوفيق بينهما ، وأحيانًا متمردة ،وأحيانًا الموقف المتعاطف للنضال الثوري تجاه الظلم،وجعل موضوع عمله موضوع المصير الدموي للأمهات ،ولم ينس القضايا الاجتماعية المعقدة ، والتي هي جوهر عمله بشكل عام: منذُ زَمَنٍ بَعيْدٍ ، كَانِ يَضْربُ اللَوحِ بِمَطرَقةٍ ثِقِيلةٍ ، مُتْعَبًا ، لَكِنَّهُ "تحمَّل لِقرونٍ".

يخلق سيڤاك صورًا مُرعبة لمجازر وموت ودماء وكوابيس توحي بالحقيقة الحقيقية ،حيث كان الشعب الأرمني ضحية للألعاب الدبلوماسية للدول التي تقاطعت مصالحها في تركيا المتخلفة والهمجية.

وفي عام ١٩٠٨ ،تثبت قصيدة "الحنين الأحمر" التي كتبها أن التوق إلى "القرية البعيدة" ، مسقط رأسه ، يصيبه: لِقَدْ اشتَقتُ إلى تِلكَ الأراضِي الجَمِيلةِ لِسَنَواتٍ "،" لقد اشتقت إلى مُسَبِبَات الأَمْرَاضِ الحَمْرَاء "...

مكانته الأدبية

كتب سيڤاك الحرف الأول في تاريخ الأدب الأرمني الأرمني في أدب الرسائل، والرسائل جزء من إرثه الإبداعي، وتُعد الرسائل إلى كتبها إلي زوجته الألمانية "چاني" ، من أفضل الأمثلة على مراسلات الحب في الأدب الأرمني .

وحققت سوناتات سيڤاك شهرة كبيرة أيضًا، فلم يكتب السوناتات العادية فحسب ، بل كتب أيضًا السوناتات "الذيلية" ، مثل "ميتسرانتس" آخر ١٥ سطرًا.

تكررت الأولى بنفس الطريقة ("روحي" ، "نفخة الحب") أو مع تغييرات طفيفة ("تلك الليلة" ،و "الضبع العجوز"). (الأفعى "،و" الخفاش "،و" الأب ") ، وكلها مكتوبة في ١٤سطرًا مقطعيًا.

تمت كتابة معظم سوناتات سيڤاك بهذا المقدار،وهذه سطور أطول تسمح لك بدمج الحياة الغنائية البحتة مع بعض العناصر السردية:

ذَهَبُوا مَعَ الكَثيرِ مِنْ الغمُوضِ والسِّرِ ،
وذهبتْ السفنُ أمامَ عَيْني بِحُبٍ ،
فوقَ الحُورِ ، حَتّى الحَوافِ المظلِمةِ ،
الأَشّرَعَةُ مَعَ النبيذِ ، ونَسّيمِ الغُرُوبِ الدافئِ.

كما قام روبن سيڤاك بترجمة عدد من السوناتات لشعراء أجانب.

وجدير بالذكر أن سيڤاك لم يستخدم القافية المستخدمة بشكل شائع في السوناتات، حيث فضَّل القافية المجاورة أو القافية المتقاطعة ، مع الحفاظ بشكل أساسي على وجود قافيتين في الرباعيات ، والقوافي ذات الأسطر الثلاثة بطرق مختلفة.

وفي إحدى القصائد ، يُعطي صورة مختصرة عن شعره: الطبيعة ، الحب ، المثل الأعلى ، الحلم ، المجزرة. بجعة بيضاء دم بشري:

ولم يمهل القدر أن يتمكن روبن سيڤاك من نشر مجموعاته التي تحمل عنوان "كتاب الحب" و "الفوضى" و " آخر الأرمن" ، لكن موته المأساوي ترك أفكاره غير محققة.

تحتل أعمال روبن سيڤاك مكانة مستقلة في القرن العشرين برؤيتها للعالم وتفكيرها الفني وأسلوبها في الأدب الأرمني الأرمني المبكر، كما يتميز شعره بنقاء وثراء اللغة وتنوع الفن والموسيقى، كذلك تتنوع أعماله النثرية من حيث النوع.

وخلال السنوات القصيرة من حياته الإبداعية ، جمع سيڤاك قصائده المبعثرة في الصحافة بعناية ، وكتب قصائد جديدة وصفحات نثرية في أوقات فراغه في وقت فراغه في المهنة ، والتي كانت تنشر جزئيًا فقط ، ولكنها حالت دون ظهور كتب جديدة.،ومعلوم أنه خطط لنشر كتب جديدة وكان يفكر في مادتها وبنيتها ". ودعا إلى اليقظة مؤكدا على أهمية الوحدة الوطنية. في الربيع ، عندما قُتل ٣٠ ألف أرمني في حمام دم نظمته سلطات تركيا الفتاة في أضنة .

لم يعَّبر روبن سيڤاك عن نفسه فقط في قصائده ، مثل "في الكنيسة الريفية" و "في المقبرة الريفية" و "بذرة الانتقام" و "اليوم الأخير" و "آخر الأرمن" ، ولكن أيضًا في الرسائل و الخطب العامة.

النهاية المأساوية

بدافع الشوق والرغبة الواعية في أن يكون مع شعبه ، غادر إلى القسطنطينية في عام ١٩١٤مع عائلته. وخلال الحرب ، عمل كطبيب عسكري في الجيش التركي ، لكن هذا لم يمنعه من أن يكون من بين المثقفين الأرمن الذين تم اعتقالهم وترحيلهم في الرابع والعشرين من أبريل ومع كثيرين ، تم ترحيله إلى سجن تشانكير. وهناك في المنفي عالج فتاة تركية وقعت في حبه ،وحاول إسماعيل والد الفتاة إقناع سيڤاك باعتناق الإسلام والزواج من الفتاة والهروب من القتل الحتمي ، وحاول رفاقه في المنفي إقناعه بالموافقة على العرض والحصول على الخلاص ،لكنه رفض اتباع هذه النصيحة ، لأنه مخلصٌ لعائلته . وفي ٢٦ أغسطس ١٩١٥، في "تشانكيري" بين قرى "كاليچيك" ،في مكان يسمى "توني" على بعد ست ساعات بالسيارة من "تشانكيري" ، نُقل مع أربعة من رفاقه المعتقلين من سجن "تشانكيري" في عربة متجهة إلى أنقرة ، وبالقرب من أحد ممرات قرية "توني"، أخرجوهم من العربة ،فلم يتمكنوا من المقاومة حيث كانت أيديهم مقيدة ،وجُرد المعتقلون الخمسة من ملابسهم ،ورُبطوا بالأشجار،وعُذِبوا بالسكاكين ،وقتلوا على أيدي قطاع الطرق الذين أطلقتهم السلطة الحاكمة.

الأشجار والأزهار في مصر الفرعونية

بقلم: أ.د. فايز أنور عبد المطلب مسعود
أستاذ التاريخ والحضارة المصرية

تميَّزت الحضارة المصرية القديمة بمزايا عديدة في شتى أنواع المعرفة الطب والفلك والهندسة والزراعة، وسوف نُخصص مجموعة من المقالات للتعرف على النباتات الموجودة في مصر القديمة، وعرض أشكالها، ولقد تراكمت ثروة من المواد النباتية على مر السنين ناتجة من أعمال التنقيب في المقابر والمعابد في وادي الملوك وغيرها من الأماكن الأثرية في مصر من أقصاها إلى أقصاها.

ولقد قام علماء النبات من مختلف الجنسيات بدارسة تلك النباتات، وهذا أدى إلى تكوين صورة عن الحياة المصرية القديمة.

وعن العلماء الذين قاموا بدارسة لتلك النباتات، نذكر العالم السويدي بيتر فورسكال Petter Forsskal ،الذي مات في عام ١٧٦٣ ،خلال البعثة الدنماركية الملكية لمصر واليمن، وتبعه العالم الفرنسي رافنيو دليل Raffenau-Delile وكان مُصاحبًا لحملة نابليون بونابرت على مصر.

وكان من العلماء المهتمين بالنبات هو العالم بيرسي نيوبيري Percy Newberry ،الذي التقى مع فلندرز بيتري في المتحف البريطاني، والأخير يفرغ محتويات صناديقه التي جاء بها من حفرياته من مصري، ولقد سمح لنيوبيري برسم بعض الحفريات.



صورة للعالم السويدي بيتر فورسكال عالم النبات

وعكف نيوبيري على دراسة تلك الحفريات، وبحلول عام ١٨٨٨م ،كان نيوبيري قد أكمل دراسته في جامعة لندن، وبدأ في التعريف على بقايا النباتات في الأكاليل والباقات الجنائزية، وكذلك الفاكهة والبذور التي اكتشفها بيتري في المقابر. ونشر بيتري دراسات عن المقابر المصرية، ولقد قدم مادة غير تقليديه في دراسته، وبهذا يكون أول عامل مصريات بريطاني ينشر عن النبات.

وبذلك أصبح بيرسي نيوبيري أستاذ علم المصريات في جامعة ليفربول (١٩٠٦ – ١٩١٩) وأستاذ للتاريخ القديم، وعلم الآثار في جامعة القاهرة (١٩٢٩ – ١٩٣٣).



المتحف الزراعي القاهرة

مقبرة توت عنخ آمون. وتم اكتشاف الكثير من المواد النباتية، وبعضها قد عرفها نيوبيري، وثم الاحتفاظ بها في متحف القاهرة.

ومن العلماء البارزين في علم النبات القديم، البروفيسورة فيفي لورينت تاكهولم أستاذة النباتات البرية المصرية، وهي من مواليد السويد في ٧ يناير ١٨٩٨م، وأما عن تاريخ وفاتها ٣ مايو ١٩٧٨م خلال زيارة لها إلى السويد ودفنت في مقبرة أوبسالا.

وهي عالمة النبات السويدية عملت كأستاذة لعلم النبات في جامعة القاهرة خلال الفترة من ١٩٤٦ إلى ١٩٧٨. والشائع عنها أنها جاءت إلى مصر عام ١٩٢٦ ،برفقة زوجها چونار تاكهولم، الذي كان أول أجنبي يُعيَّن أستاذًا لعلم النبات في كلية العلوم بجامعة القاهرة عام ١٩٢٥.

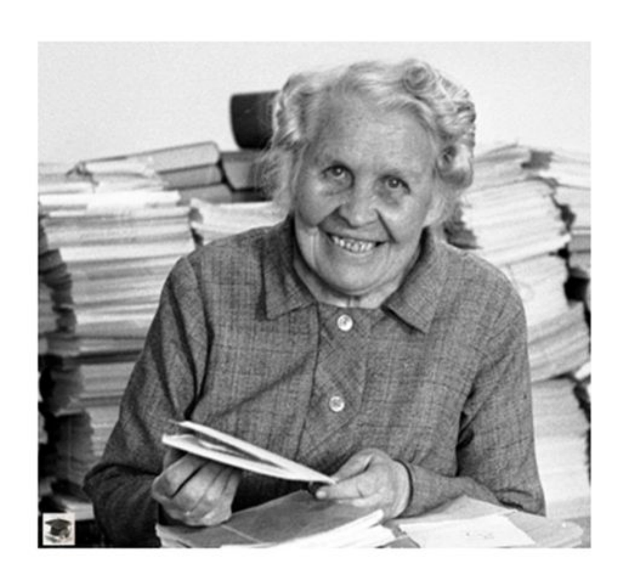
درست علم النبات في جامعة ستوكهولم ١٩٢١ ،وسافرت إلى الولايات المتحدة ١٩٢١-١٩٢٣. تزوجت في عام ١٩٢٦ من البروفسور جونار تاكهولم (١٨٩١-١٩٣٣). انتقلوا إلى مصر في نفس العام، وبدأ العمل على الفلورا المصرية. خلال الحرب العالمية الثانية عملت في صحيفة ربة منزل في ستوكهولم ،ولكنها انتقلت إلى مصر بعد الحرب. أصبحت أستاذًا في جامعة القاهرة في عام ١٩٤٦، في الإسكندرية في عام ١٩٤٧ ومرة أخرى في القاهرة في عام ١٩٤٨. وفي عام ١٩٥٢ حصلت علي الدكتوراه الفخرية في الفلسفة في جامعة ستوكهولم.

يعود الفضل لزوجها في تقديمها للمجتمع العلمي المصري، وحماستها لدراسة الحياة النباتية في مصر. فانطلقت تعمل وتثبت جدارتها، تنشر أبحاثها ومؤلفاتها الرائدة عن الفلورا المصرية القديمة والحديثة، وتُشارك في تطوير قسم علم النبات في جامعة القاهرة، وتأسيس معشبته، والتدريس، والإشراف على الرسائل الأكاديمية، حتى نالت عن استحقاق درجة الأستاذ الزائر في جامعة القاهرة.

ولم يكن راتبها الوظيفي كافيًا، فكانت تستعين على شؤون المعيشة بما كانت تتحصل عليه من حقوق مؤلفاتها الأكاديمية، أو كتبها التي كانت تضعها للعامة. وفي أحيان كثيرة، كانت تأتيها مساعدات مالية من أصدقاء ومؤسسات، تتغلب بها على أوقات العسر. غير أن ضيق ذات اليد لم يفتّ من عضدها، ولم ينل من حماستها وافتتانها بالفلورا المصرية.

قام الزوجان تاكهولم معاً، ثم الأستاذة فيفي تاكهولم وحدها بعد وفاة الزوج، بعديد من الرحلات العلمية في أرجاء القطر المصري. وتمثل مجموعات العينات والنماذج النباتية التي حصلا عليها النواة التي بدأت بها معشبة قسم النبات في جامعة القاهرة.

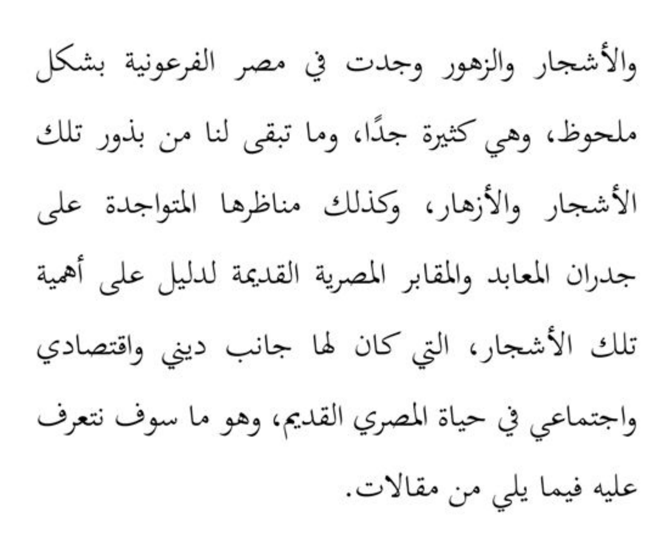
ويبلغ عدد مقتنيات المعشبة من هذه النماذج والعينات حالياً نحو ٢٠٠ ألف، موزعة على قاعتين، أكبرهما تحمل اسم فيفي تاكهولم، وفيها العائلات النباتية المصرية المنتمية إلى رتبة ذوات الفلقتين Dicotyledoneae ما عدا عائلة النباتات المركَّبة Compositae الموجودة في القاعة الثانية ومعها العائلات النباتية المصرية المنتمية إلى رتبة ذوات الفلقة الواحدة Monocotyledo-neae ،والمعروف أن علم تصنيف النباتات لا يقوم بغير معشبة. والتصنيف من العلوم الأساسية المهمة، وعليه ترتكز دراسات اقتصاديات الموارد البيئية وإيكولوچياتها، والتنوع الأحيائي، والغزو البيولوجي.



فيفي لورينت تاكهولم علم نبات في الحضارة المصرية القديمة

وقد وضعت البروفسورة فيفي تاكهولم، موسوعة مستفيضة عن نباتات مصر، نشرتها في أجزاء متعاقبة ضمن مطبوعات جامعة القاهرة تحت اسم "نباتات مصر". ظهر الجزء الأول منها عام ١٩٤١، وشاركها في تأليفه كل من زوجها البروفسور جونار تاكهولم والأستاذ محمد درار من معشبة المتحف الزراعي. أما الجزءان الثاني والثالث ،فظهرا عامي ١٩٥٠ و١٩٥٤، بالإضافة إلى كتاب تدريسي عن الحياة النباتية المصرية لطلاب مرحلة البكالوريوس.

واستمرت دراسة النباتات المصرية القديمة سواء في مصر أو خارجها، فقد نشر ألفريد لوكس A Lucas في عام ١٩٢٦ ،الكثير من تعريفات (النباتات التي عرفها) بوديل، وأيضًا نشرت رينتا چيرمر Renate Germer جميع التعريفات حيث استكملت أعمال عالم المصريات الألماني چورج شفاينفورت. وكذلك درس س دي فارتيفان C. de Vartavan بذور الحشائش التي وجدت ضمن الحبوب المكتشفة في مقبرة توت عنخ آمون.



والأشجار والزهور وجدت في مصر الفرعونية بشكل ملحوظ، وهي كثيرة جدًا، وما تبقى لنا من بذور تلك الأشجار والأزهار، وكذلك مناظرها المتواجدة على جدران المعابد والمقابر المصرية القديمة لدليل على أهمية تلك الأشجار، التي كان لها جانب ديني واقتصادي واجتماعي في حياة المصري القديم، وهو ما سوف نتعرف عليه فيما يلي من مقالات.



الأزهار والأورق



ترجمة جاروطبقيان

إنكار بريطانيا العظمى للإبادة الجماعية ضد الأرمن

إعلان ١٩٩٩ ، "الكتاب الأزرق" لعام ١٩١٦ ، وبعض التداعيات

بقلم : روبين بويادچيان

عانت القضية الأرمنية عبر تاريخ من تناقض المواقف ، التى ارتبطت بالمصالح أولاً فتحولت من إطارها الإنساني إلى أطر أخرى ارتبطت بمصلحة دول كانت شاهدة عيان بل مشاركة حتى بالصمت على ما حدث للأرمن ، ومن هذه الدول بريطانيا ، ورغم اعترافها بأن ما حدث للأرمن بأنه إبادة جماعية وجريمة ضد الإنسانية مكتملة الأركان ، إلا أن هذه الوثيقة التى بين أيدينا توضح كيف لعبت المصالح دورًا غير شريف فى قضية الأرمن ، وإليكم ترجمة النص مقتطف من فصل " ' المصالحة' بدون الحقيقة. انتهت لعبة الإنكار التركي للإبادة الجماعية ضد الأرمن "، في محررات دانيلي.و & نينيبيزي.ب " الحياة بعد الموت: إعادة بناء حياة الناجين من الإبادة الجماعية: التحديات والفرص." من فاعليات مؤتمر كيغالي ٢٥-٣٠ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠١ ، التي نشرت في الولايات المتحدة الأمريكية ٢٠٠٤.

قواعد سخيفة

للعب لعبة، هناك حاجة إلى لاعبين على الأقل. لكن عندما يتعلق الأمر بالإبادة الجماعية للأرمن يمكن العثور عليهم بالعشرات بين الحكومات وحتى برلمانات "العالم المتحضر". لا يزال اللعب جنبًا إلى جنب مع إنكار تركيا هو النهج المهيمن في العالم. فقط القليل من البرلمانات اعترفت رسميًا بالجريمة، وباستثناء الحكومة القبرصية تعترف أي حكومات أخري. في حين أنه بالعديد من البلدان لم تتم مناقشة هذه المسألة مطلقًا في البرلمان. كما أن هناك مجموعة كاملة من الردود من الآخرين الذين فشلوا في التعامل مع تلك الجريمة من خلال توصيفها الحقيقي. عادتاً ما تتألف تلك التصريحات من العبارات التي تعبر عن "الندم" على "الحوادث (المأساوية)" كما قام البعض بدمج تلك العبارات بحجج بعينها ناكرة للجريمة كما لو كانت تحاول إيجاد بعض التوازن، أو التعبير عن الحياد.

لقد لجأت حكومتان فقط إلى الإنكار التام، بريطانيا العظمى وإسرائيل٤ . ماذا يمكن أن يكون دافعهم للقيام بذلك؟ هل هي الرغبة في عدم تعكير صفو حليف عسكري وشريك في علاقات تجارية متنامية هو الذي جعل هذه الحكومات تنفي القتل الممنهج لأكثر من مليون إنسان – وبالتالي دعم وجهة نظر تركيا بأنها كانت على حق عندما قامت بذبحهم؟ وهل لها علاقة بدرجة معينة من الجهل أو اللامبالاة؟ في حالة إسرائيل قيل أيضًا بصراحة أن الاعتراف بالمذابح معناة أضعاف مكانة الهولوكوست.

من وجهة نظر أكاديمية بحتة، نحن نعيش اليوم في ما يمكن أن أعتبره أكثر جوانب الإبادة الجماعية ضد الأرمن إثارة للاهتمام: معاملتها المعاصرة، في السياسة وغيرها من المجالات.

من خلال عبثيتها المتفردة يمكن الكشف بوضوح ساطع عن أنماط التفكير والتصرف المتعلقة بالإبادة. يمكن أن تكون هذه الحالة جوهرة لمن هم يسعون وراء الكشف عن ما هو السبب وراء أن الإبادة العرقية — دون أن نتطرق بالحديث إلي جرائم أخرى ضد الإنسانية وانتهاكات حقوق الإنسان بشكل عام — لم تتم مع بداية القرن العشرين مواجهتها بمزيد من الفاعلية أو في أحسن الأحوال معارضتها بشكل انتقائي.

العنصر الأساسي في الوضع الحالي للأمور هو الغياب النسبي لجريمة الإبادة تلك عن وسائل الإعلام، فضلا عن الضعف النسبي للمنظمات والأفراد الأرمن. هكذا، يمكن لهذه القضية

أن تستغل أيضًا كمقياس للوزن الفعلي لحقوق الإنسان في السياسة: كلما ضئلت التغطية الإعلامية لفضية ما من قبل وسائل الإعلام، وكلما كانت الضحية قليلة القوة، كان لابد من ترسيخ المزيد من الاعتقاد بفائدة القيم التي يروج لها باستمرار السياسيين بهدف التصرف وفق لها.. إذا كانت مخاطر وجود انتقادات شعبية جادة بشان مواقف سياسية بعينها يمكن اعتبارها ضئيلة، عند إذ تصدر البيانات وتتخذ الإجراءات التي قد تكون تتعارض تمامًا مع السياسة الرسمية المعلنة.

قد يكون من الشائع أن يعد الأمل "في الإفلات من العقاب" دافعًا بشريًا أصيلاً، وبالتأكيد يلعب دورًا مهمًا عندما تدلي الحكومات بتصريحات حول الإبادة الجماعية للأرمن. يبدو أنه من غير المعروف أن مثل هذه التصريحات لها آثار. أو بالأحرى تعتبر تلك التداعيات بشعة لدرجة أنها تعد من المحرمات، بالنسبة للسياسيين المنتمين إلي المعارضة كذلك بالنسبة للأوساط الأكاديمية ووسائل الأعلام. أن ما يحدث بعد أن يتم التفكير جيدًا في أفكار معينة حتى النهاية، هو أنها بالكاد يمكن أن تصبح موضوع للنقاش العام. سأحاول هنا نظرياً تحديد الخطوط العريضة للأثار المترتبة على الموقف البريطاني، ومناقشة الجوانب الإشكالية الأخرى من منظور المجموعة الضحية.

بريطانيا العظمي

في عام ١٩١٦، أمرت الحكومة البريطانية بجمع الوثائق المتعلقة بإبادة الأرمن ، على أن ينشر ك "كتاب أزرق" بعنوان "معاملة الأرمن في الإمبراطورية العثمانية ، ١٩١٥-١٩١٦ ". وهي الوثائق التي قام بجمعها الفيكونت جيمس برايس بمنتهي الدقة بمساعدة المؤرخ أرنولد توينبي من مختلف المصادر وبصفة رئيسية من المسؤولين الأمريكيين والإرساليات التبشيرية لتعطي صورة مفصلة لا تترك مجالا للمراوغة لاعتبارها وفق للمصطلح المعاصر "إبادة عرقية". ومع ذلك ، ذكرت الحكومة البريطانية في عام ١٩٩٩ ما يلي: " نظراً لغياب الأدلة القاطعة التي تظهر أن الإدارة العثمانية اتخذت قرارًا محددًا للقضاء على الأرمن الخاضعين لسيطرتها في ذلك الوقت ، فان الحكومات البريطانية لم تعترف بأحداث ١٩١٥ و ١٩١٦ على أنها "إبادة جماعية". إذا اعتبرنا بيان ١٩٩٩ "صحيحًا"، فهذا يعني أن الكتاب الأزرق كان تزوير. سيكون المناصرين للأنكار التركي على حق في قولهم إن قوات الحلفاء كانت تختلق حكايات المجازر كوسيلة من وسائل الدعاية في زمن الحرب من أجل شيطنة عدوها. كما سيكون لهم الحق أن يزعموا أن الأمر برمته كان مؤامرة من القوى الإمبريالية وأن الهمجية المزعومة كانت مجرد ذريعة لتقطيع أجزاء كبيرة من آسيا الصغرى واحتلالها بعد الحرب.٧ وهكذا ، فإن العشرات من الشخصيات البريطانية مثل ديفيد لويد جورج أو ونستون تشرشل اللذان استخدم كلاهما مصطلح "الهولوكوست" لوصف ما حدث لالأرمن٨ أو الذين تحدثوا بطريقة أخرى عن سياسة الإبادة، سيصبح من الممكن أخيراً (بفضل الجهود المجيدة لحكومة توني بلير، إذا جاز التعبير) كشف القناع عن حفنة من الكذابين والمتآمرين.

والأسوأ من ذلك، أن ما يمكن العثور عليه اليوم في المحفوظات الملكية البريطانية يجب أن يؤخذ في الاعتبار أنه تزوير، أو بالأحرى المستندات التي تم اختلاقها لتضليل البريطانيين والجمهور حول العالم بشان حقيقة ما يجري.

على سبيل المثال، المستند ٦٥ من "الكتاب الأزرق" هي رسالة من القنصل الأمريكي في خربوط، ليزلي أ. ديفيس موجهه إلى وزير الخارجية بتاريخ١٠ أغسطس ١٩١٥:

يبدو أن النظام الذي يتم اتباعه هو وجود مجموعات من الأكراد يكونون في انتظارهم علي الطريق لقتل الرجال تحديداً، وبالمصادفة قتل البعض الآخر من النساء أو الأطفال. التحرك برمتة يبدوا أنه المذبحة الأكثر تنظيماً وفعالية في هذا البلد وأنه لم يسبق له مثيل. ومع ذلك لم يتم الإبقاء علي الكثير من الرجال لمرافقة أولئك الذين هم يتم إرسالهم إلى المنفى، فتم اتباع أسرع وأضمن الطرق للتخلص منهم حيث تم اعتقال عدة آلاف من الرجال الأرمن خلال الأسابيع القليلة الماضية. تم التأكد أيضاً من مصير غيرهم بشكل واضح من خلال تقارير موثوقة عن ممارسات مماثلة ليوم الأربعاء ٧ يوليو. تم القبض على العديد من الرجال يوم الاثنين في كل من خربوط ومرزين وسُجنوا. عند الفجر من صباح الثلاثاء تم إخراجهم وإجبارهم على السير نحو جبل غير مأهول تقريبًا. كان مجموعهم حوالي ثمان مئة، ومكبلين معًا في مجموعات من أربعة عشر لكل مجموعة.وصلوا بعد ظهر ذلك اليوم إلى قرية كردية صغيرة، حيث ظلوا هناك طوال الليل في صباح الأربعاء تم نقلهم إلى واد يبعد بضع ساعات، حيث كلهم أجبروا على الجلوس. ثم بدأ الدرك بإطلاق النار عليهم حتى قاموا بقتلهم جميعًا تقريبًا. ثم تم التخلص من بعض الذين لم يُقتلوا بالرصاص بالسكاكين والحراب لم يتم توجيه أي تهمة من أي نوع ضد أي من هؤلاء الرجال. تم القبض عليهم وقتلهم ببساطة كجزء من الخطة العامة للتخلص منهم العرق الأرمني ".

كان من الممكن أن يكون هذا مجرد تقرير مزيف بينما كان يجب أن يكون ديفيس قد كتب تقريرًا ثانيًا، سيبلغ فيه حكومته (والبريطانيين) بدقة. علينا إذن أن نفترض أن هناك أرشيفًا ثانيًا سرياً لدي بريطانيا و(الولايات المتحدة) تخفي فيه حيث يتم إخفاء التاريخ الحقيقي حتى يومنا هذا. وإذا كانت مؤامرة بهذا الحجم قد حدثت بالفعل، وهؤلاء المسؤولون أفلتوا من العقاب، ، أليس من الطبيعي إذن علي حد طرح نفر ممن ينكرون وجود الهولوكوست أنه قد يكون تم اتخاذ نفس هذا الإجراء خلال الحرب العالمية الثانية،من أجل "خدعة القرن الكبرى الهولوكوست؟ هذا بالتأكيد ليس ما قصدت الحكومة البريطانية قوله عندما أصدرت إعلانا عن الإبادة الجماعية للأرمن. ويمكننا أن نفترض بأمان أنه لم يخطر ولو جزء من الثانية علي بال أولئك البيروقراطيين المهملين الذين لديهم صاغوا بيانًا رديئًا هكذا بأن ما يقولونه يمكن أن يكون له آثار مروعة على التاريخ البريطاني نفسه. في الواقع، منطقياً يجب أن تكون هناك تداعيات رهيبة إذا نظرنا إلى مصداقية وعدالة نظرة الحكومة البريطانية عام١٩٩٩ فيما يخص "معاملتها للأرمن".

الإعلان مليء بالتفاصيل الكاشفة الأخرى. بعضها بشكل خاص ليس لها قيمة من منظور الضحية و(بعضها مشابه لتلك التي تم تناولها أدناه [في النص الأصلي] في الحالات إسرائيل وألمانيا). الأهم من كل ذلك هو افتراض أنه ليس هناك قيمة أطلاقاً لأكثر من مليون ضحية أرمنية وعدة ملايين من الأرمن يعيشون اليوم. مباشرة بعد الادعاء بعدم وجود دليل على قرار الحكومة العثمانية، يتبع فقرة تقول أنه لا يوجد سوى عدد قليل من الحكومات الأخرى هي التي "نسبت تسمية 'الإبادة الجماعية' لهذه الأحداث المأساوية. في رأينا أن الأمر هكذا صحيح لأننا لا نعتقد أن علي حكومات الحالية أن تعمل علي مراجعة الأحداث التي حدثت منذ أكثر من ٨٠ عامًا بغرض الحكم عليها". أولاً أن تبني موقف شديد التطرف من الإبادة لدرجة أن أي حكومة أخري غير- تركية لم تتبناها من قبل؛ يعد بمثابة اعتبار الأرمن علي مستوي العالم أغبياء من الدرجة الأولي بعد ذلك أضافه (بطريقة قاتمة) أنه ليس علي الحكومات أن تفعل ذلك.

بعد تكرار نفس النقطة مرتين أخريين، تسألت ممثلة وجهه نظر الحكومة البارونة رامزي من كارتفال "ومن المستفيد من اتخاذنا مثل هذا الموقف؟" تسألت كما لو كان يفوق الخيال بالنسبة لأعضاء الحكومة أن تكون الضحية أساسًا مهتمة بفضح الجريمة، وتسمية المجرمين، أو الحصول علي مساعدة أطراف ثالثة للتصدي ضد الهجمات (اللفظية) المستمرة.

هل لأن الضحايا الأرمن لا قيمة لهم لهذه الدرجة أن الحكومة البريطانية نسيت ببساطة أنه يمكن أن يكون لها مصلحة؟ أو تفعل ذلك باعتبار أن الأرمن جنس أدني من البشر ليس لديهم شعور مثل "البشر العاديين" بنفس الألم للأبرياء القتلى، أو الرغبة في جذب تعاطف الأخرين، أو أنهم هم أيضاً يريدون للعدالة أن تتحقق.

يختتم البيان البريطاني (مرة أخرى بطريقة قاتمة) "نحن لا نقترح أنه علينا أو عليهم أنكار الماضي أو الفشل في تعلم دروسه" ثم يمضي ليقول إن على أرمينيا وتركيا أن "يحلوا فيما بينهم القضايا التي تفرق بينهم. لكننا لم نتمكن من لعب دور صديق داعم لكلا البلدين إذا اتخذنا موقفًا سياسيًا بشكل أساسي بشأن قضية ما حساسة للغاية لكليهما "١٢. ما يقال صراحة هنا هو أن بريطانيا تعتبر الإبادة الجماعية موضوع سياسي وأن مجرد الاعتراف بالإبادة الجماعية معناة اتخاذ "موقف سياسي". كأنما أنكارها ليس معناة أنه يمكننا اتخاذ موقف سواء كان سياسيا أو غيره. الجملة الختامية للإعلان تقرأ كما لو كانت يقدم دليلاً حيًا على مقولة فيكتور هوغو "إذا قُتل رجل في باريس، فهذا جريمة قتل لكن إذا قطعت حناجر خمسين ألف شخص في الشرق فأنها مسألة" يتم تطبيق الاتفاقية إذا كانت مناسبة سياسيًا (وكأن المسألة أصبحت فجأة مسألة قانونية)، ولا يعد الأمر هكذا إذا كانت "الأحداث" "حساسة سياسياً".

حاول المتحدث باسم الحكومة بالفعل تبرير الموقف بقولة أنه هناك شكوك في أن " بنود تلك الاتفاقية" يمكن أن تتطبق باثر رجعي وذلك في محاولة لإيجاد عذر فني لم يصب المعني لا من قريب ولا من بعيد. في الواقع أن اقتراح الحكومة البريطانية بأن أي شيء كان قد حدث قبل عام ١٩٥١ عندما دخلت الاتفاقية حيز التنفيذ لا يمكن أن يطلق علية إبادة عرقية.١٥ يتعارض مع ديباجة الاتفاقية التي تنص على: "الاعتراف بأن الإبادة قد ألحقت بالبشرية خسائر كبيرة في جميع فترات التاريخ "

يتعارض موقف بريطانيا أيضاً مع مبدأين آخرين على الأقل تم توضيحهما في الديباجة:" الإبادة الجماعية جريمة بموجب القانون الدولي تتعارض مع روح وأهداف الأمم المتحدة الأمم ويدينها العالم المتحضر؛والاقتناع بأن التعاون الدولي مطلوب من أجل تحرير البشرية من هذه الآفة البغيضة ".

تحاول بارونة كارتفال الأقناع بأن الشيء الصحيح الذي يجب فعله هو عدم التسمية وإدانة الجريمة بينما الاتفاقية التي تلتزم بها بلدها، تقول الإبادة الجماعية ضد وروح الأمم المتحدة وهدفها وإدانتها رأي يتقاسمه " العالم المتحضر". تتصرف بريطانيا كما لو كانت الإبادة الجماعية قضية لا

تعنيها، لكنه سيكون من الأفضل توفير "المساحة" لتركيا وأرمينيا "للحل فيما بينهما القضايا التي تفرق بينهم". بينما كان مؤيدو المؤتمر في ذلك الوقت لديهم من الحكمة ما يكفي لكي يروا أن الإبادة الجماعية هي "آفة" لا يمكن التغلب عليها إلا من خلال التعاون الدولي.

الوضع هنا، بالنسبة للبريطانيين أو أي حكومة تتعامل مع الاعتراف و/ أو دانة الإبادة الجماعية للأرمن، هو أنه اليوم (وعلي مدار ثمانون عام مضت) لم تكن هناك الحكومة في هذا العالم روجت أن تكون إبادة أي من الأقليات ممكنة ومربحة بل وحتي خيار ضروري. هناك حكومة تنكر بشدة الحقائق التاريخية وتحاول التأثير على الأبحاث والمنشورات المستقلة في بقية أنحاء العالمية. هناك حكومة أخري، تواصل مهاجمة أفراد من نفس الأقلية ألتي تعرض أسلافها للإبادة فعليًا على أراضيها. فهل يجب على حكومة غيرهما تدعي أنها عضو في "العالم المتحضر" بل وأنها حتي ركيزة مهمة لها اليوم (وليس علي مدار ٨٠ عام مضت) تعارض مثل هذا الرأي باعتباره غير مفيد على الإطلاق لروح وهدف السلام التعايش بين الدول؟ هل يجب أن تقدم تلك الحكومة الدعم المعنوي للضحايا وورثتهم، والإشارة أن سياسة الإبادة الجماعية، وكذلك تبريرها ونشرها لن يتم التسامح معها؟ هل ينبغي عليها مساندة المحررين والباحثين في بلدها حتى لا يستسلموا لـ ضغوط عملاء الدولة التركية، الذين يريدون إنكار جريمة أو إسقاط الموضوع أو تمييع التصريحات – العملاء الذين يضغطون على العلماء والناشرين والمعلمين من أجل العمل علي تعتيم موضوع ما بدلاً من توضيحه؟

أي حكومة غربية ستجيب على هذه الأسئلة الموجهة "بالطبع يجب"، وستدعي أي حكومة" بالطبع نحن نعمل لتحقيق هذه الغاية ". لكن الحكومة البريطانية لا تفعل ذلك.بل أنها تثبت أن بعض ممثلي دولة ديمقراطية لا تتردد حتي عن إنكار صفة إبادة تدركها جيدًا وبالتالي الانحياز إلى جانب وتقديم الدعم الدولي والتأكيد بموقفها الناكر المتعنت علي دعمها لورثة دولة قتلت أكثر من مليون من مواطنيها.

ولولا هامش الموضوع والضحايا لسخر المعلقون من ذلك المتحدثون باسم الحكومة على غرار "علي الكومدي" وزير إعلام صدام حسين الذي أبهج الرأي العام العالمي في عام ٢٠٠٣ بإنكاره العنيد لما يجري علي أرض الواقع في المعركة، عندما دخلت القوات التي تقودها الولايات المتحدة العراق.

لكن هنا، يواصل "اللوردات النبلاء"التعبير بشكل روتيني عن احترامهم لبعضهم البعض مع بداية كل تدخل للإلقاء الكلمة، لكنهم لا يتطرقون إلي تصريح حكومتهم زات الطابع المثير للجدل والمهين والمثير للسخرية. أن الموضوع والضحايا ليس علي القدر الكافي من الأهمية.

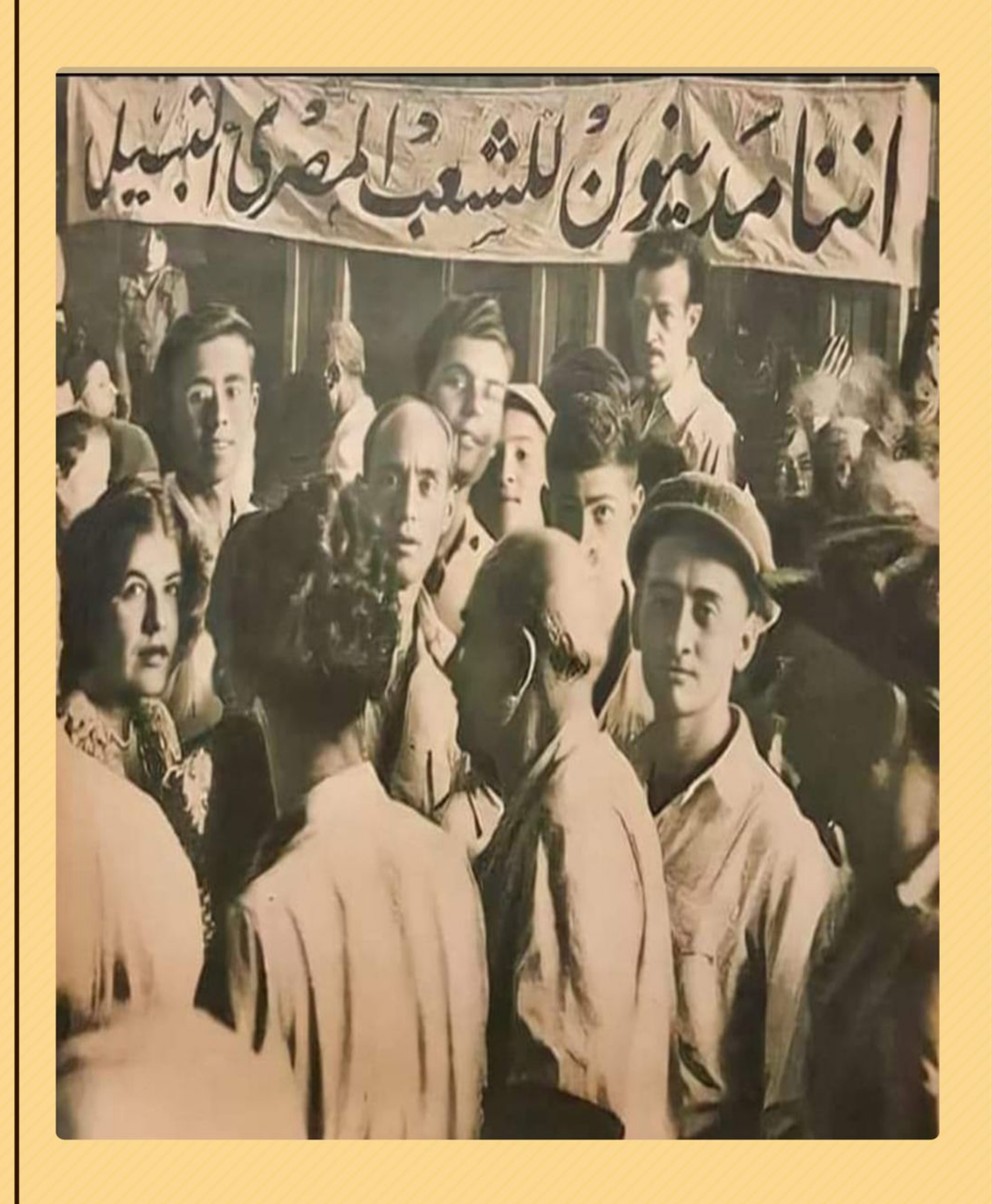
من أكثر النقاط المروعة في بيان بريطانيا أن علي تركيا وأرمينيا حل القضايا التي تفرق بينهم". إذا تحدثنا من الناحية النفسية نجد إنها إعادة تجسيد الوضع الأصلي. هناك تركيا القوية التي بعناد وبرودة تسعى لتحقيق هدفها المتمثل في إخفاء مشكلة أرمنية مزعومة. وهناك أرمينيا عاجزة، فقيرة. وهناك بريطانيا العظمى (ومعظم بقية العالم) التي لا تتدخل نيابة عن الأرمن وتتصرف وكأن ليس لديها ما تفعله على الإطلاق مع ما يجري "بين تركيا وأرمينيا".

وكأن هذا لم يكن كافيًا، يجب أيضاً على الأرمن التزام الصمت وعدم الاحتجاج على مثل هذا الموقف المقرف للحكومة البريطانية، لأنها تعتمد كثيرا على "العلاقات الممتازة" قال المتحدث إن بريطانيا تعامل، سواء مع تركيا أو أرمينية. لذا قد يؤدي الاحتجاج ضد وجهة النظر البريطانية وفضحها إلى اتخاذ تدابير بريطانية مضادة: مثل توجيه الركلات الجانبية في المنظمات الدولية، تقليص المساعدات، "تجميد العلاقات"، أو بعضًا من العديد من التدابير المضادة التي تخبئها الدبلوماسية في جعبتها.

يا له من انتصار هائل للإنكار التركي، وأن تري رعاياها السابقين بلا حول ولا قوة تحت رحمة اقوياء العالم.

بالطبع هناك اختلافات بين الماضي والحاضر، والتي تسبب طبيعتها في اهتزاز العمود الفقري لكل أرمني. بينما في عام ١٩١٥ وما بعده احتجت بريطانيا وحلفاؤها وقامت بتهديد الحكومة العثمانية، وكشفت الجريمة وسمتها، هي اليوم تنفي الإبادة الجماعية، وتدعم موقف تركيا. بالنسبة للأرمن، من الواضح أن هذا تراجع وليس تقدم لحقوق الإنسان. يبدو الأمر كما لو أن المحرقة والإبادات الجماعية الأخرى لم تكن كذلك ارتكبت منذ ذلك الحين، كما لو أن العديد من معاهدات حقوق الإنسان لم تدخل حيز التنفيذ أبدًا، كما لو كانت هذه المعاهدات الذين يزعمون أنه لا توجد طريقة لأن يتعلم الجنس البشري من التاريخ كانوا على حق تمامًا.

أو ما هو أسوأ من ذلك، ما غيرته اتفاقية الإبادة الجماعية في العالم هو ما تشعر به الحكومات الآن من اضطرارها لإنكار طابع الإبادة الجماعية لبعض عمليات التصفية، لأنهم يعتقدون أن ذلك سيدفعهم إلي اتخاذ إجراء مضاد لمثل هذه السياسات من خلال فضحها وتسميتها بشكل مناسب. عندئذٍ سيتغبرون مواجهة سياسة الإبادة الجماعية أمراً غر مفيدًا، أو يتعارض "مع المصلحة الوطنية". إنكار الإبادة الجماعية سيكون وسيلة ضمن سياسة أكبر يهدف إلى تعظيم حرية العمل سعياً وراء "المصلحة الوطنية"، وهي سياسة يهدف إلى الدفاع عن النظام العالمي كما كان في القرن التاسع عشر، عندما "تنافست" الدول مع الحد الأدنى من القيود (وكانت بريطانيا أعظم قوة في العالم).



مصر المحروسة عندما تتجلى الإنسانية في أبهى صورها